المشرق

الآداب العربيّة

منذ نشوب الحرب العموميّة

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

خمس سنوات مرّت علينا فلم يمكنّا ان نوقف قرّاءنا على ما يُنشر في عالم الادب من المطبوعات الشرقيّة ترقيةً للغتنا العربيّة سواء كانت آثاراً قديمة استخرجها الادباء من زوايا النسيان ام مآثر جديدة لابناء العصر . فبدأنا هذه المقالة قصدنا ان نكتب فصلاً في ذلك

ولسنا نؤكّد ان نظرنا هذا يكون شاملاً مستوفياً لصعوبة المواصلات الحاليّة بيننا وبين الاقطار الاجنبيّة وقلّة المطبوعات الواردة الينا منها وانّا نذكر ما اتّصلت اليه يدنا فنكتفي بالقليل ان لم نحصل على الكلّ

اولاً مطبوعات بلاد الشام

منذ دخلت تركيّة في الحرب في جانب الدول المركزيّة أُصيبت الآداب العربيّة بضربة اليمة كادت تقضي عليها وذلك لأنّ العنصر التركيّ كان مبغضاً للعرب ولكلّ ما يحبّبه من شأنه ان يرفع قدرهم ويحيي ذكرهم فوضعت الحكومة يدها على مطابع المرسلين في القدس الشريف وبيروت والموصل وضغطت على بقيّة المطابع الاّ ما كان ساعياً في مصالحها . وكذا يقال عن المدارس والمكاتب وكان همّ أولي الامر التتريك في الآداب كما في السياسة

بيد ان زعماء الاتراك رأوا بعد حين أنهم لا يستطيعون ان يميتوا العربية ونصف اهل الممالك العثمانية لا يعرفون غيرها فعدلوا نوعاً عن طريقتهم وقصدوا ان يتخذوا العربية كوسيلة لتقريب المتكلمين بالضاد الى سياستهم . وتمكّن مع ذلك بعض الافراد من نشر تآليف قليلة نذكرها جميعاً مع ما طُبع ايضاً منها بعد الهدنة الى هذه الايام الاخيرة:

١ بيروت

نشرت الحكومة التركية على نفقتها «مباحث علمية وادبية» عن ولاية بيروت في مطبعة الولاية (سنة ١٣٣٦ — ١٣٣٣ ه) ابرزتها اولاً باللغة التركية في ثلاثة مجلدات نُقل منها الى العربية مجلدان وذلك بهمّة المدير الثاني في المدرسة السلطانية محمد بهجت ومدير مدرسة التجارة محمد رفيق التميمي (في ٤٣٦ و٥١٩ صفحة) . وهما يتناولان اوصاف جنوبي الولاية وقسم من شماليها مع تصاوير شتى . وهذا التأليف لا يخلو من عدة فوائد نُقلت عن كتب مكتبتنا الشرقية التي كانت آنئذٍ في حوزة الدولة . غير ان كثيراً من تلك الفصول تستدعي انتقاداً واسعاً لما اودعها كتبتها من الاحكام الضعيفة والآراء الواهية والاغلاط التاريخية المتعددة فضلاً عن التعظيمات الكاذبة للدولة التركية وبخس حقوق الاجانب والمرسلين وغير المسلمين عموماً

وقد سعينا بعد ذلك بكتابة اثر آخر يحتوي وصف لبنان يكون كتتمّة للتأليف السابق فوكلت الينا وضعهُ حكومة لبنان ومتصرّفها اسماعيل حقي بك بوساطة رجل العلم والفضل المسيو حسين كاظم بك . فقمنا بهذا العمل مع بعض أُولي الخبرة من الاختصاصيين البارعين وقد سبق لنا وصف هذا الكتاب في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٧٣ — ٧٤)

ومما برز بمساعي الحكومة التركية كتاب نُشر بالتركية والافرنسية في الاستانة تحت عنوان «الحقيقة في المسألة السورية» شاعت في بيروت ترجمته العربية والكتاب غُفل من اسم مؤلّفه الّا انه لجمال باشا وزير البحرية وقائد الجيوش العام في طرفنا هذه كما يزعم تزكية نفسه مما أتاهُ من الاحكام العرفية والامر باعدام بعض وجوه الوطن . الا انّ هذا الدفاع منقوض من اساسه اذ كانت مساعي الحزب

العربيّ علانية بعد اعلان الدستور وحرّية المطبوعات وكانت الدولة واقفة على تلك الحركات الاستقلالية فسكتت عنها ولم تتذكر بها كما الّا يوم سيطرتها

ومن هذه المطبوعات ايضاً كتابان نُشرا في المطبعة العلميّة سنة ١٩١٦ الاوّل عنوانه « الرحلة الانوريّة الى الاصقاع الحجازيّة والشاميّة » تأليف الكاتب الشهير محمّد افندي كرد عليّ وصف فيه « سياحة رجل العثمانيين وبطل الاسلام والمسلمين . . . انور باشا الى المدينة المنوّرة وسوريّة وفلسطين » فاودعهُ ما حكمت عليه احوال تلك السنين من كلام التعظيم والتمليق مما لعلّهُ يمجّهُ اليوم فمهُ ويتبرّأ منهُ . وكذلك قُل عن بعض فصوله في مجلة المقتبس . اما الكتاب الثاني فعنوانهُ « البعثة العلميّة الى دار الخلافة الاسلاميّة » تولّى تصنيفهُ اربعة من كتبة الجرائد الاسلاميّة الافندية محمّد باقر ومحمّد كرد علي وحسين الحبّال وعبد الباسط الانسيّ . وهم يشرعون على وتر الكتاب السابق ويطرئون الدولة العثمانيّة فيرفعونها الى السماء بينما كانت تضغط على اهل جلدتهم العربيّة وتحكم عليهم قتلاً بالاعدام

وفي السنة ذاتها والمطبعة نفسها نشر باغراء العثمانيين السيّد محمّد حبيب العبيدي الموصلي « ١ : » كتاب جنايات الانكليز على البشر عامّة وعلى المسلمين خاصّة » وكفى باسمه دليلاً على ما يكنّهُ صدرهُ من الشراسة نحو الأمة الانكليزيّة = ٢ » حبال الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام » يسعى فيه بتوحيد كلمة الاسلام وبالبرهان على « انّ الخلافة الاسلاميّة قائمة بالدولة العثمانيّة » (ص ٩٦) ولا نظنّ انّ كثيرين من المسلمين يسلّمون له بذلك = ٣ » جمال التهنئة وتهنئة الجمال قصيدة رفعها الى « بطل الاتحاد الاسلامي . . . احمد جمال باشا » = ٤ » صدى الحقيقة » وهي مجموع خطب المؤلف القاها في رحلته مع اصحاب البعثة العلميّة السوريّة الى دار الخلافة وزيارة ساحة الحرب في الدردنيل

ومن هذه المجاملات للدولة التركيّة في ايام الحرب « العثمانيّات » وهي قصائد لحضرة الخوري مارون غصن قالها في السلطان محمّد رشاد و . . . وجمال وعزمي وغيرهم ممَّن يلعنهم اليوم القاصي والداني . وقد اضاف اليها الاعلانات وهي ابعى حسناً والطف لفظاً وارقّ معنى واصدق قولاً

ومن قبيل المواضيع السابقة « مختصر تاريخ المانية » عرّبهُ ش . حدّاد وطبعهُ

في مطبعة «جورنال دو بيروت». ومن الطبع أنهُ نسب اسباب الحرب الى الاتفاق ولالمانية فقط الدفاع عن نفسها. وفي هذه المطبعة نشر ايضاً سنة ١٩١٦ الاديب الارمني هرام قرجابيد بالفرنسوية تاريخ بيروت (ص ٦٦) اخذاً عن مصادر معروفة اخصها كتابنا تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

ومن الكتب الحسنة التي نُشرت في ايام الحرب كتاب الحقائق الاقتصاد لعبد الغني سني بك مكتوبي ولاية بيروت (سنة ١٣٣١ — ١٣٣٢) أعرب فيه عن معارفه الواسعة بعلم الاقتصاد واصوله وطرائقه المختلفة والوسائل المساعدة على توسيع نطاقه فجاء كتاباً ممتعاً يُنتفع به في كلّ ادوار الحياة واختلاف السياسة

وكذلك طبع معروف الارناؤوط في المطبعة العصرية سنة ١٩١٥ كتاباً ادعاهُ «فردوس المعرّي» ضمّنهُ رواية خياليّة لطيفة ليمجّد بها ذكر شاعر المعرّة العلاء بعد ان تفي قبرهُ في وطنه خرباً مهملاً

امّا بعد الحرب فقد نُشر من كتب التاريخ في المطبعة العلمية سنة ١٩١٩ لاقيد الدين والعلم المطران يوسف دريان اوّلاً كرّاس صغير «مستقبل لبنان القرن» ثمّ ألحق بكتاب ممتع دعاهُ «نبذة تاريخيّة في اصل الطائفة المارونيّة واستقلالها» بجبل لبنان من قديم الدهر الى الآن» انتقدناهُ في المشرق (١٨ : ٣١٣). كذا انتقدنا تاريخ حضرة الخوري انطون يمين اللبناني المدعو «لبنان في الحرب» (١٨ : ١٥٦)

ومن الكتب الادبيّة التي برزت حينئذٍ ديوان الشاعر المجيد الياس فيّاض ظهر الجزء الاوّل منهُ في المطبعة الاميركانيّة سنة ١٩١٨ في ٩٦ صفحة جمع فيه ما نظمه قبل الحرب وفي زمانها. بينها بعض القصائد التاريخيّة أحسن فيها الوصف — وممّا نُشر بعد ختام الحرب وقفة بين الماضي والحاضر للخوري نقولا ابي هنا الباسيلي المخلّصي في ٣٠ صفحة طُبعت في مطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٩ وقد اجاد فيها الناظم بوصفهِ حالة لبنان في زمن الحرب ثم فرح اللبنانيين بدخول فرنسة في مواطنهم وقد مرّ لنا تعريف منظومتين اخريين «العقد النضير» للخوري بطرس حبيقة (المشرق ١٨ : ١٥٧) ثم «الحرب العمومية» ليوسف الخوري البشلاني (١٨ : ٢٣٤). وممّا ظهر آخراً الجزء الاوّل من ديوان حليم دموس فيه منظوما

التي صنّفها في المهجر او وضعها في لبنان وهو لا يقلّ عن ٣٥٦ صفحة في كلّ المواضيع الادبيّة من الشعر العصري ·لا ينقص هذا المورد غير وتر المواضيع الدينيّة وهو اطربها نغماً · ولهذا الديوان مقدّمة في الشعر وآراء الشعراء والادباء فيه

ومن الادبيّات النثريّة محاضرة «لبنان الكبير» للكاتب الاجتماعي عبدالله بك رزق‌الله خير · ثمّ «السانحات» للاديب جرجي نقولا باز ·تصنيف اليا الجزء الاوّل من كتابنا «النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة» ·وتذكار المئة الاولى لانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة · وقد مرّ وصفها جميعاً في اعداد المشرق السابقة · وفي هذه المجلّة ظهرت عدّة مقالات تفيد الآداب العربيّة والتاريخ ممّا لا حاجة الى ذكرها · اما الدينيات فقد وصفنا ما عرفناهُ منها اعني كتابي حضرة الخوري يوسف داغر «البرهان الصريح في الدين الصحيح ومصباح الحقائق» ثم «التلاوة الوفيّة في العبادة الحقيقية لمريم العذراء» تعريب الثلث الرحمات المطران يوسف دريان ·و «الجلاء الاسرار المكنونة» للخوري بطرس القرح

٢ دمشق

نشر فيها الشيخ عبدالقادر افندي بدران في مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣٢ (١٩١٤ —١٩١٥) المجلدين الرابع والخامس من تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر وهما يتناولان اسماء الذين سكنوا دمشق او دخلوها مباشرةً باسم الحارث بن هشام الى آخر الزاي (زيد بن الحسن) ·ويسوءُنا القول بان هذه الطبعة تخلو من كلّ ما يستحبّهُ العلماء في نشر الآثار القديمة من مقابلة النسخ والتذييلات المختلفة والافادات التاريخيّة واللغويّة الخ · وطُبع ايضاً في اثناء الحرب بعض اعداد مجلّة المقتبس في مطبعة الشرق (التي نُقلت اليها ادوات مطبعتنا بعد خرابها) وفيها مقالات مفيدة (نستثني منها المقالات السياسيّة تزلّفاً الى احمد جمال باشا واصحابه) كوصف مخطوطات قديمة وايراد آثار منسيّة مثل كتاب البَيْزرة وتراجم كبار الرجال وغير ذلك من الفصول الممتعة التي تُشوّقنا الى عود صاحبها الاديب الى خدمة العلم والوطن قريباً — وممّا طُبع ايضاً في الفيحاء سنة ١٣٣٣ و١٣٣٤ الاسرار الكونيّة في الكرة الارضيّة جزءان لمحمّد علي الجازي وهو مختصر مدرسي في الجغرافية الطبيعيّة والسياسيّة · ثمّ

«كنز النجاة في علم الاوقات» للشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي يحتوي شيئاً من مبادئ علم الفلك مما لا يروي غليلاً . ثم يضاف الى هذه المنشورات كتاب طُبع «لترويج السياسة الحاليّة وهو «ايقاظ الاخوان لدسائس الاعداء وما يقتضيه حال الزمان» للشيخ اسمعيل الصلايحي احد قضاة تونس سابقاً

ثمّ ما طُبع بعد الحرب فكتاب «مناهج التربية والتعليم في علم البيداغوجيا» عرّبهُ بإيعاز ادارة معارف سوريّة اديب التقي البغدادي وطبعهُ في مطبعة المفيد سنة ١٣٣٧ . وفي هذه المطبعة نُشر كتاب «العصر الدموي» لناصيف بك ابي زيد الموصوف سابقاً

٣ حلب

لا نعرف من مطبوعاتها شيئاً في اوان الحرب الّا كتاباً نقلهُ عن الالمانيّة قليكس فلدي فارس وطبعهُ في المطبعة المارونيّة سنة ١٩١٦ وكفى باسمه دليلاً على انهُ نُشر لجامعة الالمان وربح رضاهم بعد دخول تركيّة في محالفتهم وهو «ارتقاء المانيا الوطني في مدّة الخمس والعشرين سنة الاخيرة» للدكتور كارل هلفريخ

٤ القدس الشريف

طُبع في بيت المقدس بعد الحرب «الزفرات» وهي قصائد لاسكندر الخوري البيتجالي سنة ١٩١٩ بينها ما يُشعر بأهوال البلاد السيئة في زمن الحرب . وقد استأنف الكاتب الاديب خليل بيدس نشر مجلّة النفائس العصريّة منذ اواسط ايلول سنة ١٩١٩ فوصل لنا منها عشرة اعداد فقط مطبوعة في مطبعة دار الايتام . امّا مطبعة دير الروم الارثذكس فجدّدت بعض الكتب الطقسيّة وفيها طُبعت مجلّة «بيت لحم» كان ظهورها في ايلول ١٩١٩ ايضاً

٥ لبنان

عادت بعد الحرب مطبعة القديس يوسف في حريصا (لبنان) الى خدمتها الجليلة سابقاً وكان اوّل مآثرها احياء مجلّتها الغرّاء «المسرّة» التي ينشئها حضرة الآباء البولسيين الافاضل ويودعونها الفصول الشائقة الدينيّة والادبيّة والتاريخيّة والفكاهيّة مع اتقان طبعها . وفي هذه المطبعة ايضاً نُشر سفران حسان سبق لنا الكلام في

تعريبها » كتاب القصارى في نكبات النصارى » بقلم شاهد عيان . وتعريب « كتاب العفاف » بقلم حضرة الخوري بطرس ابي زيد . اما بقيّة مطابع لبنان في جونية وبعبدا وبيت شباب وكفرشيما وجبيل فحتى الآن لم يظهر شيءٌ من مطبوعاتها . ومثلها صيداء وطرابلس ما عدا بعض الجرائد

ثانياً مطبوعات القطر المصري

لا يسعنا ان نصف كلّ مطبوعات مصر في هذه الحقبة الاخيرة . واذاً نكتفي بذكر اخصّها واوّل الكلّ كتاب صُبح الاعشى لاحمد بن علي الشهير بالقلقشندي المتوفّى سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) وهو كدائرة معارف كتّاب الدواوين يدلّ على سعة نطاق معاملات دولة المماليك المصريّة ووفرة عمّالها وتعدّد اشغالها الدينيّة والمدنيّة والسياسيّة والادبيّة والصناعيّة وكلّ هذه المعاملات تحتاج الى معارف جمّة سعى القلقشندي بحصرها في كتابه الذي باشرت بطبعه منذ السنة ١٩١٣ دار الكتب الخديويّة فانتهت منهُ في هذه المدّة الاخيرة بطبع الجزء الرابع عشر وهو ختام الكتاب فاستحقّت شكر محبي الآثار العربيّة على نشره وحسن طبعه . ولكان زاد شكرنا لها لو اضافت اليه تلك الحسنات التي يزيّن بها المستشرقون مطبوعاتهم من مراجعة تآليفهم على نسخ مختلفة زيادةً للضبط ومن تذييلها بالملحوظات والحاقها بالفهارس . فلولا ذلك تفقد كل طبعة نصف قيمتها

ومن مطبوعات دار الكتب الخديويّة الحديثة ايضاً كتاب الخصائص طبعتهُ في مطبعة الهلال وهو لاحد ائمّة العلوم اللغويّة ابي الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) وهو يتضمّن عدداً عديداً من الملحوظات اللغويّة المتفرّقة لا يُنتفع منها الّا باستقراء مضامينها او بوضع الفهارس الدالّة عليها فعسى ان يقوم بها المتولّون طبع الكتاب في آخر جزئه الثاني . وقد لحظنا في الابيات المستشهد بها بعض الاغلاط والروايات المشوَّهة

وقد سمحت ايضاً دار الكتب الخديويّة بنشر « كتاب الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » في ثلثة اجزاء طبعته في مطبعة المقتطف بمصر وهو للامام

يحيى بن حمزة العلوي اليمني المتوفى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) غايته اثبات اعجاز القرآن وانَّهُ يشتمل على افادات لغويَّة جمَّة وملحوظات ادبيَّة دقيقة

وممَّا طبعته تلك الدار في مطبعة المنار كتاب الاعتصام للامام ابي اسحاق ابرهيم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ (١٣٨٨م) وضعهُ صاحبهُ لتفنيد البدع التي كثرت في ايَّامهِ في انحاء الاسلام وهو مفيد لتعريف احوال الاسلام في القرون الوسطى

ومن المطبوعات الحسنة التي نُشرت في مطبعة المقتطف والمقطَّم «تاريخ الحرب العظمى» وقفنا على سبعة اجزاء منهُ يزينها عدَّة تصاوير وهي تتضمَّن تفاصيل الحرب الى اواخر السنة ١٩١٥ وذلك باعتدال في النظر ومراعاة لحقيقة الاحوال. وكان في الوقت عينهِ صاحب الهلال اميل افندي زيدان مهتمًّا بتعريب تأليف الدكتور جوستاف لوبون «الحرب الاوربيَّة» فنشرهُ في مطبعتهِ سنة ١٩١٦. وهو كثير الفوائد مع انتصار صاحبهِ لوطنهِ وتشنيعهِ على عدَّة اعمال اتاها الالمان. وبعد نهاية الحرب نظم الاديب اسعد خليل داغر سلسلة اخبارها شعرًا في نحو اربعين بابًا مع اختلاف بحورها وتفنن المؤلف في ابراز معانيها ويبلغ الكتاب ١١٧ صفحة. وقد طُبع في مطبعة الهلال سنة ١٩١٦ كما طُبع ايضاً فيها مختصر تاريخ المانية معرَّبًا ومصوَّرًا يبتدئ بذكر اقدم القبائل الجرمانية ثمَّ يتتبَّع احوالها مع توالي الاجيال الى القيصر غليوم الثاني — وفي اثناء الحرب نشر علي العناني المصري كتابًا دعاهُ «الحياة الاقتصاديَّة الالمانيَّة اثناء الحرب الحاضرة» يطري فيهِ اعمال الالمانية ويرى لها التفوُّق على اقرانها فجاءت نتيجة الحرب مخالفة لظنّهِ

وممَّا لهُ علاقة بالتاريخ الحاضر وطُبع في مصر في مطبعة المقطَّم سنة ١٩١٦ كتاب ثورة العرب بيَّن فيهِ مؤلّفهُ احد اعضاء الجمعيات العربيَّة مقدمات هذه الثورة واسبابها ونتائجها وضعهُ صاحبهُ تذكارًا «لارواح شهداء الوطن» الذين حضرنا إعدامهم في بيروت والشام. فعسى ان يحقق اليوم الملك العربي في الحجاز والشام ما بني عليهِ من الآمال. وفي هذا الكتاب وصف مستوفى لتطرُّف الاتراك في حكمهم وفظائع عمالهم الاتحاديين في مدَّة الحرب الاخيرة

وطبع سنة ١٩١٥ زعماء النهضة المصريَّة «صحيفة من تاريخ الجلترا في مصر» يتشكَّون فيها من معاملة الانكليز لوطنهم ويطالبون فيها بحقوقهم

ومن الكتب التاريخيّة المفيدة التي طبعت في القطر المصري سنة ١٩١٤ « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » لكمال الدين الادفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م) ورد فيه ذكر ٥٩٣ شخصاً من اهل الصعيد مع ايراد تاريخهم ونُتَف من اخبارهم واشعارهم. طُبع في الاسكندريّة

ومن الادبيات القديمة التي طُبعت في مصر آخراً في مطبعة المنار ديوان عبدالله ابن الدُّمَينة الخثعميّ من شعراء الخلافة الاموية. معظم شعره نسيب وغزل شرح بعض الفاظه دون معانيه محمد الهاشمي البغدادي ولم يضبطهُ بالشكل ولا ذكر رواياته — وافضل من هذا كتاب «طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين» لابي عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري المتوفى سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) وهو احد التآليف القديمة التي كان يرجع اليها الباحثون عن الشعراء الاقدمين وطبقاتهم وقد سبق ابنَ سلام في ذلك ابنُ قتيبة. نشر هذا الكتاب حامد محمد عثمان الحديد الكتبيّ في مطبعة السعادة طبعاً نظيفاً لكنهُ خالٍ من الشكل والروايات والفهارس. وفي الابيات المرويّة اغلاط عديدة يُقتضى اصلاحها في طبعة ثانية

وهنا لا بدَّ ان نذكر كتاباً آخر طُبع في مطبعة السعادة ايضاً وانما هو مسروق من مطبعتنا البيروتية ألا وهو كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرناهُ اولاً في المشرق ثمَّ طبعناهُ على حدة مع اصلاحات شتى وروايات مختلفة وفهارس فاستحلاهُ عبد الرؤوف افندي الدبّاغ • وطبعهُ دون مراعاة للحقوق الدوليّة لكنهُ اكتفى بالمتن دون الشروح والتذييلات وانما اختصر فقط مقدّمتنا. فتبعاً لعادة بعض اصحاب المطابع في مصر الذين يختلسون هكذا اشغال غيرهم فيدعونها. وقد كتبنا سابقاً فصلاً مطوّلاً في هذه السرقات المصريّة (المشرق ١١ [١٩٠٨]: ٩٣٠) ولعلّنا نعود الى الموضوع ثانية حسماً لهذا الداء الوبيل

وممّن يستحق الثناء امين افندي عبد العزيز ناشر كتاب المكافأة لابي جعفر احمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية من ادباء القرن الرابع للهجرة فانهُ قدّم عليه المقدّمات الكافية لتعريف النسخة التي اخذ عنها وتدوين اخبار المؤلف مع تمهيده عذرهُ لعدم وجود نسخة ثانية يعارض عليها نسختهُ. ومدار الكتاب على ضروب المكافأة والمجازاة سواء كان بالحسن او بالقبيح وهو فريدٌ في جنسه.

ينقصهُ في آخرهِ فهرس للاعلام المذكورة فيهِ اتماماً للفائدة

ومن الآداب النصرانيّة القديمة التي نُشرت في مصر في اول سنة الحرب كتاب «الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة» يشتمل على خطب تُتلى في الكنائس القبطيّة الارثذوكسيَّة في ايَّام الآحاد والاعياد في ٢٨٧ صفحة جمعها الشمَّاس حبيب جرجس من تآليف قدماء الكتبة المصريين لاسيما الشيخ الصفيّ ابن العسَّال والقسّ شمس الرئاسة المعروف بابن كبر ، قد تأنَّق فيها مؤلّفوها على طريقة الخطب الاسلاميَّة المسجّعة كأيام ابن الحديثي البطريرك النسطوري المطبوعة في الموصل . وكان الاقباط طبعوا قبلها ٥٨ ميمراً اي مواعظ ليعقوب السروجي المعرّبة قديماً عن السريانيَّة فنعم الاثران . ويا ليت الاقباط يسعون بنشر مآثر اجدادهم المخزونة في مكاتب اديرتهم

هذا ما وقفنا عليهِ من ذكر الآداب القديمة امَّا الآداب الحديثة فيحقُّ لنا ان نقدّم عليها ذكر سفرين جليلين : الاوَّل تصحيح لسان العرب . القسم الاول بقلم الاديب العلَّامة احمد باشا تيمور جمع فيهِ عدَّة تصحيحات لمعجم ابن المنظور المعروف بلسان العرب في ٥٩ صفحة من قطع الربع طُبع في المطبعة الجماليَّة سنة ١٩١٦ . فنشكر جنابهُ على هذه الخدمة للآداب اللغويَّة ونتمنَّى صدور قسمهِ الثاني قريباً ان شاء الله . والثاني تصحيح كتاب الاغاني طُبع ايضاً بالمطبعة الجماليَّة في ٧٠ صفحة بهمَّة العالم اللغويّ محمَّد محمود الشنقيطيّ مقابلاً بين طبعة بولاق القديمة وطبعة محمَّد الساسي الحديثة . ويا حبَّذا لو قدَّم المصحح عليهِ بعض المقدّمات لتعريف اسناده . وهذان التصحيحان كلاهما قد عُني بطبعها وتحقيقها محمَّد عبد الجواد افندي الاصمعيّ

ومن الآداب الحديثة المنشورة المطبوعة في مصر « الاثر الذهبي للمرحوم عطيَّه بك وهبي » يحتوي تاريخهُ ومباحثهُ وآثاره الادبيَّة المتفرّقة لجامعهِ راغب اسكندر الحامي طُبع سنة ١٩١٥ في المطبعة المصريَّة الاهليَّة في ٣١٢ صفحة . ومنها ايضاً كتابان طُبعا بمطبعة المعارف وقرَّرت وزارة المعارف العموميَّة تدريسهما طُبع الاول سنة ١٩١٦ وهو كتاب حسن تربية الاوانس عنوانهُ « الفتاة والبيت في ١٢ فصلاً » للسيدة ج . س دوبوك عرَّبهُ صديقنا وتلميذ كليّتنا سابقاً الشيخ انطون افندي الجميل . والثاني كتيب في التربية الاوليَّة والاخلاق في جزئين عرَّبهُ حافظ بك ابرهيم — وقد طُبع في هذه المطبعة ايضاً كتاب الاجتماعيَّات وهي مجموعة مقالات لسيدة اميركيَّة

« اليزابيت تون » تقيد الآداب النسائيّة والعيشة العائلية . عرّبتها اوليفيا عبد الشهيد الاقصريّة سنة ١٩١٥

وممّا يفيد تاريخ الآداب العربيّة « كتاب تاريخ الاداب العربية من نشأتها الى ايامنا » وهو لاحد اخوة المدارس المسيحية تجد وصفه في اواخر هذا العدد . وممّا نُشر ايضاً في ذلك كتاب « حضارة العرب » بقلم اسعد داغر طُبع في مطبعة المقتطف سنة ١٩١٩ ضمّنهُ احوال العرب في اطوار تاريخهم وفي علومهم وآدابهم وقدّم كتابهُ « الى صاحب السموّ الملكي الامير فيصل بن الحسين » على انّ مثنيّ الهلال نسب اليه سرقة فصول من مجلّته دون ذكرها . ومن هذا الباب تأليف الاديب عبدالفتاح عباده المصري « انتشار الخطّ العربيّ في العالم الشرقي والعالم الغربيّ » طُبع في مطبعة هنديّة سنة ١٩١٥ في ١٦٧ صفحة وهو اوّل كتاب عربي وضع في هذا المعنى ونشر فقيد الآداب المرحوم الشيخ طاهر الجزائري في المطبعة السلفيّة سنة ١٩١٩ كتابهُ « التقريب لاصول التعريب » اودعهُ كثيراً من الفوائد في تعريب المفردات الاعجميّة وحشاهُ بالملحوظات اللغويّة الفريدة ينقصهُ شيءٌ من التنظيم والتبويب وقد سُدّت هذه الثلمة بما اضيف اليه من الفهارس

امّا المنظومات فقد وقفنا منها على الجزء الثالث من ديوان عبدالحليم حلمي المصري الذي نجز طبعهُ في مطبعة المعارف سنة ١٩١٨ وهو في ١٠٩ صفحات . وصاحبها من شعراء العصر المعدودين عدل عن طرائق الشعراء السابقين الى المنظومات العصريّة المتقنة — وقد مرّ لنا ذكر مجموعي التانيور جرجس شلحت تحت عنوان الشكوى: مناجاة الارواح ومحاورة حكيم (ص ١٥٧)

لم يُنشر من الكتب الفلسفيّة في عامنا غير كتب قليلة اهمّها « محاضرات الفلسفة العامّة وتاريخها والفلسفة العربيّة وعلم الاخلاق » القاها في الجامعة المصريّة جناب الكونت دي جلارزا في السنتين ١٩١٨ و ١٩١٩ وبحث فيها عن فلسفة هربس وديكارت ثمّ انتقل الى درس فلسفة الفارابيّ وابن مسكويه ثمّ عدل الى درس فلسفة الانكليزي يوسف بتلر . وقد اتّسع في ذكر تآليف هؤلاء الفلاسفة ثمّ انتقدها انتقاداً حسناً — ومنها كتاب عنوانهُ الفلسفة الادبيّة عرّبهُ بتصرّف حنّا اسعد وهي قطعة بمطبعة المؤيد سنة ١٩١٩ . وقد ورد هناك ذكر واجبات

الانسان مع قطع النظر عن الدين والخالق وكفى به خللاً كما لا يخفى — ومن الآثار الفلسفية القديمة ثلاثة كتب طُبعت في مجموع واحد وهي هياكل النور لشهاب الدين السهروردي ثمّ تهذيب كتاب الفصوص للفارابي واصول المنطق لمحمد بن شريف الحسيني

ومن المطبوعات التاريخيّة الهمّة كتاب تاريخ سينا القديم والحديث لمؤلفه نعوم بك شقير وهو كتاب ضخم في ٧٧٦ صفحة جمع فيه كلّ ما يُعرف عن جزيرة سينا من حيث التاريخ والجغرافية والآثار القديمة والجيولوجيّة مع وصف دير طور سينا ورهبانه ثمّ ذكر قبائل الجزيرة واخلاقهم الى غير ذلك من الفوائد المتعة . وقد اضاف اليه خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجاريّة والحربيّة عن طريق سينا منذ اوّل عهد التاريخ الى اليوم . فترى ما شُحن به الكتاب من المعلومات هذا فضلاً عن تصاويره العديدة . على انّ المؤلف فاته ذكر قدماء السيّاح الذين زاروا دير القديسة كاترينا ووصفوه وقد نشرنا من رحلهم شيئاً . كما نشرنا في مجموعة مكتبنا الشرقي جدول اساقفة سينا الذي نشره المؤلف (ص ٥١٧–٥٢٥) اما سجلّ العهد المنسوب الى صاحب الشريعة الاسلاميّة (ص ٤٩٦–٤٩٧) فلا نعدّهُ صحيحاً كما بيّنا ذلك في المشرق سابقاً

ونُشر في السياحات « كتاب سياحتي الى الحجاز وهي حوادث واقعيّة للشيخ غريب بن الشيخ عجيب » في ١٧٧ صفحة ونظنّ انّ الاسم يستر حقيقة المسمّى ولا يبعد ان يكون واضعه احد اصحاب الرسالة الانكليزيّة الاميركانيّة بمصر الّف فيه يصف احوال المسلمين في حجّهم الى مكّة والى المدينة مستنداً في رواياته الى المصادر القديمة والحديثة ويا ليته ذكر اسنادهُ . طُبع سنة ١٩١٥

ولسنا ننسى تأليفين نشرهما في مصر اثنان من قدماء تلامذتنا الوجهاء : الاوّل رحلة بالافرنسيّة اوفنت اديب باشا وعرّبهُ الشيخ فريد حبيش فطُبع بمطبعة المعارف سنة ١٩١٩ . والثاني « في سبيل لبنان » تأليف الكاتب الاديب يوسف السودا طُبع في الاسكندريّة في ذات السنة وقد صار للكتابين شهرة تدلّ على اقبال الناس على مطالعتها

هذه اخصّ التآليف المصريّة الحريّة بالذكر وقد طُبع في القطر المصري كثير

الروايات الخياليّة وبعض الكتب المدارسيّة من مبادئ قراءة وصرف ونحو كقاموس التمرينات النحويّة الحديثة لمحمد افندي علي (١٩١٨) وغير ذلك ممّا ليس تحتهُ كبير شأن فضربنا عنهُ صفحاً

ثالثاً مطبوعات اميركا

قلّما يطبع الاميركيّون تآليف عربيّة . وقد ذكرنا لهم في عهدنا الاخير ما نشرهُ احدهم الدكتور وليم بوبر من تاريخ ابي المحاسن بن تغري بردي (ص ٤٧٣) . امّا المهاجرون فمعظم مطبوعاتهم الجرائد ولا حاجة الى ذكرها . وقد ذكرنا ما نشرهُ من المطبوعات المفيدة صاحب ابي الهول الاديب شكري افندي الخوري (ص ٢٣٣) . وكذلك عُنيت الجمعيّة الفلسطينيّة لمقاومة الصهيونيّة في نيويرك بنشر كتاب « فلسطين وتجديد حياتها » ضمَّنتهُ خلاصة تاريخ فلسطين ووصف جميع احوالها الجغرافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والتجاريّة الخ سنة ١٩١٩

رابعاً مطبوعات المستشرقين في اوربة

انّ الحرب الاخيرة شغلت كثيرين من المستشرقين عن مواصلة نشر الكتب المفيدة ولعلّ البعض منها لم يبلغنا حتّى الآن . فدونك ما اطّلعنا عليه . نشر الدكتور بتروف (D. K. Pétrof) من اساتذة جامعة بطرسبورج القيصريّة سنة ١٩١٤ في مطبعة ليدن في هولاندة كتاب ابي محمّد عليّ بن حزم الاندلسيّ المعروف بطوق الحمامة في الالفة والأُلَّاف (ص١٤٥) مع مقدمات وفهارس مختلفة في نحو ٢٠ صفحة نقله عن احد مخطوطات ليدن . وابن حزم من فلاسفة الاندلس توفي سنة ١٠٦٤م عُرف كأبي العلاء المعرّي بقلّة دينه . ومن تآليفه الشهيرة كتاب الملل والنحل المطبوع في مصر . امّا كتاب طوق الحمامة فانّهُ يبحث عن العشق والعشّاق ولا نأبه لهُ

ومن الكتب الفريدة التي باشر بنشرها المسيو هنري ماسه (H. Massé) قبل الحرب ولم ينجزها الّا في السنة الماضية كتاب تاريخ مصر لابن الميَسَّر المتوفى سنة ٦٧٧هـ (١٢٧٨م) يحتوي الجزء الثاني منهُ اخبار الدولة الفاطميّة . طُبع في مصر

سنة ١٩١٩ بهمّة الجمعيّة العلميّة الفرنسويّة — وقد طبع في باريس العلّامة كليان هوار الجزء الخامس من كتاب البدء المقدسي

وممّا يستحقّ ذكرًا خصوصيًا الجزءان الخامس والسادس من منشورات البرنس كايتاني (L. Caetani) متابعًا فيهما كتابة الجليل المعنون بتواريخ الاسلام (Annali dell'Islam) جمع فيهما ما كتبه اقدم المؤرّخين عن الاسلام في السنين الثلاث للهجرة (٢٣—٢٥هـ)

وممّا نُشر في المجلّات الاوربيّة من الآثار العربية : قصيدة قدم بن قادم من اقدم الآثار اليمنيّة نُشرت في مجلّة الدروس الايطاليّة (R. delle Studi Orientali) نشرها العلّامة اوجانيو غريفيني . كما نشر فيها ايضًا وفي المجلّة الاسيويّة الالمانيّة وصف مخطوطات عربيّة عديدة بيعت حديثًا من مكتبة ميلانو . ونشرت مجلّة اوبسالا (Le Monde Oriental, *Uppsala*) كتاب الموفّقيات لابن عبدالله الزبير بن ابي بكّار — ونشر ريشرد هرتمان في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة كتاب ابن فضل الله العمري في جغرافيّة مصر السياسيّة على عهد المماليك — ومن منشورات المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالة واسعة للاديب الفرد بيل (Alf. Bel) في كتابات فاس الاثريّة . وفيها عدّة مقالات لحضرة الاب هنري لامنس كالتصوير في مبادئ الاسلام ووصف رحلته الى بلاد النصيريّة (١) . وهناك ايضًا مقامات ابن الاولي مع ترجمتها الفرنسويّة للجنرال فوربيغو والاستاذ دلفين (G[al] Faure-Biguet et Delphin) . ومقالة للمستشرق الشهير كارا دي فو في بحض الآثار العلميّة عند العرب . وقد نشر المستشرق الالماني برنشتين (F. L. Bernstein) شرح معلّقة امرئ القيس لابن كيسان في مجلّة العلوم الاشوريّة . والعلّامة الايطالي الفاضل نالينو نظر اجمالي في المطبوعات الشرقيّة في السنة ١٩١٦ . وبه نختم هذه المقالة مستميحين عذرًا ممن يكون سها بالنا عن ذكر مطبوعاتهم

---

(١) ولنا في مجلّة الدروس الشرقيّة الايطاليّة مقالة مدقّقة في آخر ملوك بني امية مروان الثاني المعروف بالحمار . وفي مجلّة العالم الاسلامي (Rev. du Monde Musulman 1920.p. 58-84) مقالة عن رحلة الخديوي عبّاس حلمي حاجًا الى الحرمين سنة ١٩٠٩ منتقدًا على ما نشره محمد لبيب البتنوني سنة ١٩١٦

الحشرات المتطفلة

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

ان للمتطفلين بين العرب قصصاً غريبة وحكايات مضحكة اتسع في ذكرها كتبتهم ورووا منها ما يُنبئهم في ذلك قصبة السبق بين بقية الشعوب. على انّ هذا الداء لم ينتشر بينهم فقط ولو تتبعنا عادات بعض الناس في ايامنا لوجدنا منهم بقايا حسنة ممّن يترصّدون الدعوات والآدب ليتسرّبوا اليها فيأخذوا حصتهم من اطايبها دون ان يدعوهم اليها احد

على انّ التطفّل لا ينحصر في الناس فقط فانّهُ شائع في كلّ مواليد الطبيعة. فاعتبر مثلاً النبات فانهُ لا يكاد يوجد شجرة الّا ويتسلّط عليها كثير من النباتات المتطفلة فتتعلق بها وتعيش منها مع ما يلحق الشجرة من الأذى. فمن ذلك ما يعرفهُ البستاني من امر الهالوك (الجعفر) (orobanche) الذي يتخلل في اصول الباقلا والبندورا ونباتات اخرى فيمتصُّها ويضعفها. وفي الغابات لا يجهل ذات الدبق (gui المشق) المتسلّط على السنديان فانّ كلّ هذه النباتات تعيش من فضل غيرها كما يعيش الضيف من طعام صاحبه

وان اعتبرنا الحشرات وجدنا منها اجناساً عديدة تعيش من فضل سواها من الحشرات او من حُيَيوينات اكبر منها. ولا يخلو الانسان من اقتحام هذه الهوامّ المتطفلة التي تساوره وتعيش في جسمه خارجاً او باطناً. وكذلك البهائم والطيور فانّ لكلٍّ منها حشرات ترتع في ابدانها كالقمل والبراغيث والقردان فمنها ما يمتص اجسامها ومنها ما يُنفذ في لحومها مخالبهُ ليغتذي من جوهرها. وقد تبلغ قحة البعض منها الى ان تدخل في باطن الجسم فتستوطن احشاء الحيوان او دماغه او طحاله او تنفذ تحت الجلد فتتخذ لها محلّاً طيباً تسكنهُ وتتناسل فيه. فمن ذلك برغوث يكثر في البرازيل ويدعى بالشيك (Puce-Chique) وقد انتقل منذ عهد قريب الى اواسط افريقية نقلتهُ اليها مراكب مثقلة بالرمل وهذا البرغوث يعيش في الرمل. لأنّ انثاهُ عادة

يبيض العادة اذ تنفذ تحت اظافير الشاة لتبيض هناك بيضها . والانسان لا يحس عند ولوجها تحت ظفر رجله لكنها لا تلبث ان تضع نسلها فينمو صغارها ويحتزو في الجلد فيشعر الانسان بألم لا يطاق ولولا إسراعه الى نزعها لتقرَّحت رجله

وكم من الحشرات المجنحة وغير المجنحة تعيث فساداً في جسم الانسان وبد الحيوان وكلّها متطفلة مستثقلة !

ولكن ليست غايتنا في هذه المقالة ان نبحث عن هذه الهوام واتا قصدنا الا ان نبسط البحث من الحشرات المتطفلة على حشرات أُخرى لا سيَّما تلك التي لا تمد ولا تخزن قوتاً لنسلها لكنها خصت بغريزة عجيبة وهي وضعها لبيضها على احد الحشرات الطيّبة لتتسلط عليها صغارها عند تفقها ليختنها - او تودع ذلك البيض الخلايا التي خزنت فيها بعض الحشرات طعامها من عسل او صيد فتعيش من غذائها . و بدع انَّ في هذه الامور مظهراً من نظام الخالق عزَّ وجلَّ الذي قسم لكل حيوانا الكون رزقها وجعل بعضها طعاماً للبعض لئلا يزيد عدد البعض منها الى حدود مفر

== * ==

سبق لنا وصف العشّ الذي تبتنيه حشرة البيلوباي (Pélopée) حيث تتخ من الطين وتجعله خلايا لكل بيضة من بيضها تخزن فيها ما تصطاده من العناك ليكون طعاماً لصغارها عند تفقهم ليختنهم فيتحوّلون الى دودة ثمَّ يزداد نمواً فيبلغون بعد خمسة عشر يوماً نموهم التام ويبقون في هذه الحالة عدة أشهر آب الى حزيران دون ان يخرجوا من عشهم الطيني

فان عمدتَ الى احد هذه الاعشاش في زمن الخريف وحفظته تحت مش حديدي لاستطعت في شهر تموز ان تشاهد الحشرات المحبوسة فيه اذ تثقب عشها المجصّص فتخرج منه وقد كساها الله جناحاً فتطير الى الشبك وتتشبّث من داخله

الّا انك تعاين ايضاً ما خلا هوام البيلوباي حشرات اخرى تخالفها صورةً ولو فان الاولى مرقشة بالاسود والاصفر ذات بطن اسود

امّا الثانية فمع قوائمها البيضاء يتغلّب على لونها الصفرة وبطنها اصفر مستط متقوّس ينتهي بابرة طولها ازيد من السنتيمتر . فالحشرتان مختلفتان ليستا من ذ

واحد ما لم يقل ان احداهما تحولت الى صورة الثانية وبه يصح المذهب الدارويني في تحوّل الاجناس وهيهات ان يصح وهو مبنيّ على شفير هار

فكيف اذن وقوفنا على حقيقة الامر ؟ . هلمّ بنا نعيد النظر في عمل الحشرة الامّ حينا تصطنع عشها في شهر آب فها هي قد شيّدت خلايا صغارها ووضعت في كلّ خليّة بيضة وعبّتها بالمؤونة وهي ما اصطادتهُ من العناكب المخدّرة ثمّ سيّجتها وطيّنتها فصارت كمَدَرة من الطين في ظاهرها . فاجعل هذه المَدَرة على منضدتك وراقب ما يقرب اليها من الهوامّ ترَ بعد حين هامّة صفراء طويلة الساقين ينتهي بطنها الاصفر بثقب من الجنس الذي وصفناه آنفاً . فهذه الهامّة ترفرف امامك دون ان تُلحق بك اذًى اذ لا حُمةَ لها جارحة وان اشبهت في صورتها الزنبور . وانما تحوم حول مدرة البيلوباي اذ شعرت بسكنيها ولم تنخدع بظواهرها فعرفت انّ في باطنها دودا سميناً يحسنُ ان يغذي صغارها . ولكن كيف الولوج الى داخلها وهي محصّنة في خلاياها وفوق الخلايا صوانٌ من الملاط يردّ عنها غارات العدوّ . لكنّ زائرتنا لم تيأس منها فانظر رعاك الله كيف تدوّم حول المدرة كأنّها تحاول البلوغ الى دودها . ثمّ تراها تحطّ فوق العشّ وتتفحصهُ في كلّ جوانبه وتعقّف اليه قرنيها مضطربةً ثمّ تمدّ ابرة بطنها اليه وتلويها عمودياً بالنسبة الى قطب جسمها فتحضنهُ بتسع نقط بقوائمها الست ثمّ بقرنيها وبثقب بطنها . فقرناها يُطلعانها على حالة الدود كما يظهر وبهما تقف على ما يفوت ادراك حواسنا البشريّة . اما الثقب فيجسّ المَدَرة لعلها تجد فيها صدعاً او فرجةً ما او ملاطاً ارق حيث تغرز فيه تلك الابرة الثاقبة فاذا وجدت مطلوبها وهي تجدهُ لا محالة فمن ساعتها تجدّ في ثقبه فترى جسمها في اضطراب الى ان تدرك غايتها فيبلغ الثقب الى جسم الدودة فتغرز فيها ملقيةً عليها بيضةً من بيضه ثمّ تنزعهُ الهامّة وتعيد العمل فوق كلّ خليّة حيث توجد احدى الدودات فتلصق بها بيضة ثمّ تهيم في وجهها

فيا ترى ماذا يجري بعد ذلك ؟ فها قد انكشف السرّ فانّ هذا البيض ينفقس في وقته ويتسلّط الولود على جسم الدودة السمينة فيغتذي منها ويمتصّ لحمها حتّى اذا اقبل الصيف وانفلقت المدرة بفعل الدود يخرج من العش صاحب البيت (ان لم يتلف) وضيفهُ ذواللون الاصفر والبطن المجهّز بالثقب الطويل . وهذا المتطفّل هو

المسمى في لغة العلم بالاخنومون (Ichneumon)

وليس هذا التطفل وحده بين الحشرات فانَّ كثيراً منها لا يجهد الصيد ولا يجني العسل او يخزن الذخائر ليعدَّ طعاماً لنسله عند مولدهم

فبينا ترى عدداً عديداً من الهوام كالفصيلة النحلية (les Apiens) تبني التخاريب من الشمع او من الطين او من المواد الهشّة لتودع فيها عسلها وترى فصائل غيرها تودع امشاشها طعاماً من الصيد الذي تقتنصه من جراد وعناكب ودود وغير ذلك . وبعض الفصائل تجمع نفايات الطبيعة وما تناثر من اللحوم والجلود والاصواف وما فسد من السرقين الخ حرصاً على صغارها عند ولادتها . ترى على خلاف ذلك اجناساً من الهوام التي تعيش من النهب والسلب على نفقة غيرها فتودع صغارها حيثما تجد مطعماً لها تاماً غني غيرها بجمعه وكدَّ في تهيئته

وليست حشرة الاخنومون صنفاً واحداً بل هي انواع متنوعة تشتمل على اشكال عديدة وكلها معروفة بالتطفل والسرقة . اما اسمها فهو مستعار من اسم حيوان يسمّى عند العرب بالنمس كان قدماء المصريين يعبدونهُ وهو من ذوات الاربع يصطاد الفيران والحرابيَّ ويبحث عن بيض التماسيح فيلتهمها وكان البعض يزعمون انهُ يدخل في بطن التمساح ويفترس احشاءهُ فيقتله . فأطلق العلماء اسمهُ على الحشرات التي نحن بصددها لأنها تشبه النمس بوضع بيضها على الحشرات لتتغذى بلحومها عند تفقيها بيضها

والظاهر من حكمة الخالق انهُ كوّنها لتقلل عدد غيرها من الحشرات لئلا يحصل الأذى بفرط زيادتها . ومن حيث انَّ هوامّ النمس لا تعيش الَّا من مواد حيوية فالامّ تهاجم سواها من الحشرات لاسيَّما الدود فتحمل عليها فوق جلدها او تحته بيض صغارها التي تجد عند خروجها من بيضها سفرة ممدودة وطعاماً حاضراً فتأكل اولًا نسيج ضيفها الشحمي ثمّ تعمد الى بقية اعضائها الثانوية دون الرئيسية لئلا تموت فيفسد عليها طعامها . ولا تسطو فقط على الدود بل ربّما طاردت الحشرات التامة البنية . وليست كلها جارية على طريقة واحدة في غاراتها . فلكلّ صنف منها فريستهُ التي يهاجمها فبعضها يطارد الهوامّ المجنحة الطائرة وبعضها ينازل الدود في امشاشها او بين الاعشاب وكلها تعلم كما يقول العرب من اين تؤكل الكتف

اي كيف تبلغ الى فريستها وتزرق من لحمها . فسبحان الخالق الذي جعل قرب كثير من الحشرات اصنافاً تحصر عددها الوافر في نطاق معلوم

وهذه الحشرات النَسيَّة ممتدة في كلّ انحاء المعمور تبلغ انواعها بضع الئات وهي تختلف في الوانها وحجمها فنها ما لا يزيد طولهُ المليمترين ونصف المليمتر ويبلغ طول غيرها ٣٠ ميليمتراً ما خلا مثقب بطنها المثلث الخيوط البالغ طولهُ ١٠٥ مليمترا . وهذا الصنف بهيّ المنظر ولا تخلو منهُ انحاء بلاد الشام . ومن طول هذا الثقب العجيب يُستدلّ على عمق المكان الذي تغرز فيهِ الحشرة بيضتها . فالتي تُحدث بثقب طويل تُدخل بيضها تحت قشر الشجر وفي باطن الخشب وفي باطن التربة لا يقوى شيء على تلك الابرة النحيفة وربَّما تثقب اصلب المواد الى عمق ثلاثة او اربعة سنتيمترات في نقطة حيث لا يستطيع احدُ الناس بصراً من اكتشاف ادنى صدع

والغريب في ذلك انَّ حشرة النس تشعر انَّ وراء تلك الحواجز دودةً تصلح لطعام صغارها . والغريب منهُ ان هذه الحشرة اذا سبقتها احدى هوامّ من جنسها فعلّقت بيضتها على فريسة ما لا تعود هي فتتعرَّض لها . وان سألت كيف يمكنها ان تعرف ذلك والفريسة غالباً في عمق الارض او في عشّ مرصوص او تحت قشر الشجر ثمَّ البيضة المودوعة غاية في النعومة لا تراها العين او هي مُنفذة تحت جلد الفريسة . اجبنا انَّ كلَّ ذلك من الاسرار التي لا يعلمها الَّا الخالق الذي طبع في هذه الحشرات غريزتها العجيبة التي تحيّر عقولنا

ومن خصائص هذه الحشرات تلك الأبرة التي دعوناها بالثقب والتي جاد عليها الخالق لتغرز بيضها في فرائسها . فانَّها تختلف طولاً على حسب انواعها فتكون قصيرةً لا تكاد ترى في الجنس الذي ينثر بيضهُ على حشرة ذات جلد املس وطويلةً في الجنس الذي يهاجم الحشرات الشعراء التي تعيش في العشب

وقد وصف العلّامة السير فابر صيد حشرات النس لفريستها وصفاً ممتعاً ننقله هنا عنهُ . قال : « ألا انظر الى هذه الدودات التي ترعى العشب بكلّ طمأنينة واذا بحشرة النس تأتي محوّمة في الهواء باحثة عن لسن الدود لتصطادها . فتحسُّ الدود بقدوم عدوّها عند سمعها لرفرفة جناحه فن ساعتها تكفّ عن الرعي وتنطح برأسها ذات اليمين وذات الشمال كانَّها تريد ان تخيف القادم عليها لكنَّ ذلك لا

يسلك على النمس ولا تعيره بالاً بل تحط بسرعة البرق على الدودة التي اختارتها وبلمح البصر ترخها بابرتها وتُنفذ في الجُرح بيضة من بيضها . فعبثاً تحاول الدودة ان تنجو من عدوها الجنّح الذي لا يخشى خصاً واذا انتهت من عملها مع احدى الدودات كَرَّت العمل مع غيرها الى ان ينفد بيضها كلهُ فتطير ناعمة البال

امَّا الدودة المبتلاة بهذا الضيف الثقيل فانها تعود الى رعيها ثم تزيد غزلها بعض الجنس الذي يفترش منها فيلجة لكنَّ هذه الفيلجة تنسجها في القالب لعدوها فانَّ بيضة النمس اذا انفقت لا تزال تمصُّ لحم الدودة الى ان تفنيها وتسكن هي الفيلجة المساوية ثم تثقبها وتخرج منها فيتعجب الناظر كيف تغيّر النسل واختلف صاحب الدار فصار المتطفل مالكها بدلاً من ديارها الاصلي

وان اخترتَ في ايام الربيع مرجاً من الاعشاب وعاينتَ ما يرعاه بينها من الدود يأخذك العجب من عددها العديد ثم تتكر فيما سيحصل منها في السنة القادمة حين يولد نسلها النامي فلن تترك شيئاً من الخضرة . ولكنك ان عدتَ الى المكان في السنة التالية وجدت ذلك الدود على ما كان دون ان يشر عدده نمواً معتبراً وان بحثت عن سرّ ذلك لاكتشفته في محاربة حشرات النمس لضروب الدود فانَّ بين مئة دودة لا يكاد ينجو من فتكات النمس الا اربع او خمس منها والباقي كله يذهب فريسة لدنمها . وقد اثبتت الامتحانات المتكررة انَّ صنفاً من حشرات النمس الدعو بالخرج البطن (Micrigaster) يفترس هو وحده تسعة اعشار دود الفراش الابيض الذي يعيث في البقول ويفسدها والنمس الذكور لا يزيد طولهُ على سنتيمترين ونصف . فكم يحق شكر البستاني لفضله . واعلم انَّ بيض النمس غاية في القوة حتى انَّ البعض منهُ لا يفسد بموت الامّ اذا ماتت وهو في بطنها بل ينتقف واذ لم يجد ما كلاً اغتذى من جثة الوالدة او يأكل بعضهُ البعض

ومن جوارح الحشرات ما عدا الفصيلة النمسيّة فصائل غيرها ذوات اربعة اجنحة او جناحين تتطفل على غيرها فتودع بيضها فيما اقتنات بلحوم دودها او تغتذي بما اختارته صاحبة العش من الطعام لدويها . وربما حدث انَّ البيضة الغريبة بعد تفتقها تأكل ما تجده في العش من دود او طعام ثم تصبح هي ايضاً فريسة لجنس آخر من الحشرات فينال النمس جزاءهُ بضربة اشرَّ افتك منهُ . ولكنَّ هذه الهوام طرائق عجيبة في التلصص

فمنها حشرة المتيل (Mutile) التي لا جناح لأنثاها وتشبه النملة لكنها حمراء الوسط فهي تتسرَّب الى دهاليز الحشرات حيثما تشعر بوجود الدود فتجعل بيضها عليها ثمَّ تخرج سالمة

ومنها حشرة الخريزيس (Chrysis) الجميلة المنظر ذات الالوان المعدنيَّة الناصعة كالذهب والزُمرُّد واللازورد والارجوان وهي على حجم الذباب الصغير لكنها ذات اربعة اجنحة . فهذه تترصَّد حشرة البنبكس (Bembex) حين تحفر لها سرباً تموّنهُ بالطعام لصغارها فهي تطير الى طعامها كطرفة العين وتجعل عليهِ بيضة او اكثر ثمَّ تنطلق

ومنها الميلكت (Mélecte) التي تدخل في محاريب بعض النحل البرّي فتبيض بيضها على بيضة النحلة فاذا تفقَّسَت جماعات بيضة النحلة اوَّل فريستها ثمَّ تعمد الى العسل وتستوطن الخليَّة وتخرج فراشةً وقت الربيع بدلاً من النحلة البريَّة

ومنها حشرة ستيليس (Stellis) التي تثقب لها ثقباً في خلايا صلبة كالحجر لبعض اصناف النحل وتلج من ذلك الثقب الى وسط الخليَّة وتجعل بيضها على العسل ثمَّ تخرج وتسدُّ الثقب بِمِلاط

ومنها ما يُبري بيضهُ حيثما كان فاذا تفقَّسَت البيضة قُضي على الصغار ان يطلبوا طعامهم بنشاطهم فيرشدهم وَهْمُهم الى ان يرقوا الى بعض النباتات المزهرة وينتظروا نحلةً ما بريَّة تأتي لجنى الزهور فاذا حطَّت عليها تشبَّثت اثنان او ثلاث او اربع من تلك الحشرات بزغب النحلة فتدخل معها في خليَّتها وتأكل عسل صغارها متطفّلة

فبهذه الطرائق العجيبة وبإتلاف الحشرات بعضها لبعض تبقى الموازنة في الطبيعة بين مخلوقاتها المختلفة

على انَّ في نظر هذه الحشرات التي ندعوها بالمتطفلة ما هو اجدر بالاعتبار وذلك خدمتها المشكورة للانسان . يعرف ارباب الفلاحة انَّ لغلّاتهم كالقمح ولاشجارهم المثمرة كالليمون والكرمة اعداء الداء من حشرات مفسدة تتسلَّط عليها فتتلفها . لكنَّ الخالق اعدَّ لكلّ هذه الحشرات هوامَّ من جنس المتطفّلين تناجزها القتال وتخفّف وطأتها عن عاتق الانسان وان لم نكتشف حتى الآن لكلّ الحشرات المؤذية الهامَّة ناهضة لاستئصالها

فمما نقلته لنا الجرائد الفرنسوية الرسمية في السنتين ١٩١٢ و١٩١٣ انهُ ظهرت في ايطالية حشرة تشبه القيلوكسيرة يدعونها (Diapsis pentegona) من جنس دودة القرمز فأخذت تتسلط على شجر التوت حتى أتلفتها وقد انتقلت من اليابان الى ايطالية مع بعض فسائل التوت الياباني. فخاف الفرنسويون على توت بلادهم واستدراكاً للشر وضعوا بعض القوانين على الاغراس المنقولة من ايطالية الى فرنسة. وفيما هم يتباحثون في الامر واذا بنبإٍ آخر اثبت وجود حشرة مناقضة لتلك الحشرات تشبه زنبوراً صغيراً فوجدوه ايضاً في اليابان فأنثى هذه الطائفة تدسّ بيضها في دودة عدوّها او في جسم انثاها فلا تُبقي ولا تذر . وهذه الحشرات الصالحة تنتج كلّ انثى منها نحو مئة بيضة فبوقت قريب تنمو عدداً وتلتهم الحشرات الضرّة بالتوت فلا يبقى منها سوى جلدها اليابس

ومن آفات الليمون حشرة يدعونها ايسَريا برخاري (Icerya Purchari) افسدت كثيراً من شجر النارنج في اوستراليا واميركا واوربّة وكان ظهورها في فرنسة سنة ١٩١٠ الّا انهم عرفوا دواءها بتنبية حشرة أُخرى تدعى نوفيوس كردينا ليس (Novius Cardinalis) التي تقتل تلك الحشرة قتلاً ذريعاً فتلاشيا بزمن قليل (١)

وقد رأينا آفةً مثلها في بيروت قبل بضعة اعوام في شجر الليمون فما أُرسل الى الشام بعض الحشرات الطاردة لها حتى تنظّفت بزمن قليل كلّ شجر الساحل من تلك الهوامّ الضارّة

ومن الحشرات المؤذية للقمح هامَّة تدعى ساسيدومي (Cécydomie) تشبه البعوضة الّا انها تُسري بيضها في زهرة الحنطة لا في الماء كالبعوضة . فالبيضة تنفقس فتُرى كدودة صغيرة حمراء تنمو متعدّدة في غلاف الحبوب فتقرضها بحيث تصبح السنبلة فارغة وقت الحصاد واذا كبرت الحشرة ترمي بنفسها الى الحضيض متعلّقة بخيط تحيكه كالعنكبوت ثمّ تغرز في الارض . وقد بلغ سنة ١٨٤٦ ما اتلفته هذه الدودة من القمح في بلجكة مليونين من الهكتولتر . غير انّ الله وضع

(١) راجع مجلة كسموس (Cosmos) في عدديها ٢٦ حزيران و٢٣ ت ١ ١٩١٣

ا. لهذا الداء وذلك حشرة غاية في النعومة من الفصيلة النسية يدعونها بسلة سك (Psylle de Bosc) وهي مجهزة بقرن صغير في أعلى بطنها فتحوم فوق سنابل وحينا تجد الحشرة المفسدة تزرّ في جسمها بيضة من بيضها فهي تنقف بعد بل وترعى جسم الدودة المؤذية فتقتلها

وفي اميركا صنف آخر من الساسيدومي يتولد في سوق السنابل فيجففها وقد ف هناك ما لا يحصى من الغلات . واما الغابة الاهلية نبت منه بلاد اوربة سطة شيء صغير يقوم في وجه هذا العدو فيفتك به

غير انّ في اوربة آفة أخرى لفساد الغلات ألا وهي حشرة ذات جناحين تشبه بابة العادية تدعى اوسين (Oscine) تعيث في كل اصناف الغلال كالقمح لشعير والجاودار والشوفان . لكنها هي ايضاً لها عدوها وهو نوع من النمس نحيف سم يطارد ذلك العابث في سوق السنابل ويُنقف في بطونها بيضة الذي يهلكه . تقفيه

فانظر رعاك الله عناية الخالق الذي يجعل قرب كل داء دواءه وما خوّل لهذه شرات النسية من الخواص اجدينا قدرته في مخلوقاته الصغيرة كما في الكبيرة وجه في كل شيء نظرنا الى ذلك الذي يظهر لنا آيات حكمته في كل شيء تبارك مه وسبحانه تعالى الى ابد الدهور

كتاب الكتاب لفوجيه دوستوريه

نعي بترجمه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الخامس

وهذا باب الحذف وفصوله

شروط الحذف واصوله وعلله

اعلم انّ اكثر ما يُحذف في الكتاب الحروفُ المكرّرة كراهية اجتماع الاشباه الخط كما يدغمون الضعف في اللفظ استثقالاً التضعيف او حروف المدّ واللين

لأعتلالها وثقلها وتعاوُر السكون والحركات والتنوين اياها مع (28°) كثرتها في الكلام وانّه لا يخلو من احدها او من الحركات كلمة وامّا الحركات منها فيُستخفّ بحذفها من الكتاب كما يُفعل ذلك في اللفظ. واكثرُ حروف اللين حذفاً الالفُ لضعفها وأنّها اكثر في الكلام من غيرها

٢ حذف المُدغَم من الخطّ اتّباعاً للفظ

فمّا يُحذَف لاجتماع الاشباه، كلُّ حرفَين أُدغما من كلمة واحدة فانّهما يُكتَبان حرفاً واحداً صحيحاً كان او معتلّاً لأنهم كرهوا في الكتاب ما كرهوا في الكلام من التضعيف وذلك مثل دال مُدّ وميم مُختصِر الثانية وتاء اتّزن ودال ادّكَرَ ومثل واو مَدْعُوّ ومَسْوُوّ وياء بخفيّ ومَرْمِيّ. فان وقع الادغام في حرفين من كلمتين لم يجب الحذف لأنّ ذلك لا يلزمها في كلّ موضع اذ كانا قد يفترقان فكأنّه لم تجتمع الاشباه وذلك مثل لام التعريف اذا أُدغمت مع غير اللام كقولك السّلام والرّحمن والصّراط فهذه اللام تثبت في الكتاب لانها تفارق ما دخلت عليه ولأنّها جاءت لمعنًى لا يُعلَم الّا بها. وكذلك هي اذا أُدغمت في لام كقولك «الله» واللّيلُ (28°) واللّهو» وتثبت في غير الادغام في مثل «الآل والخير» الّا أن يَعرِض عارض يوجب مخالفة القياس كحذفهم من «الّذي والّتي» ومن «الّذين» اذا كان جمعاً احدى اللامين للفصل بين ذلك وبين التثنية في «اللّذين واللّتين» فالمحذوفة من الكتاب هي اوّل الاسم لا حرفُ التعريف وكان اثباتُ اللامين فيما هو لأثنين أولى عندهم فاذا صغّروا «الّذي والّتي» ردّوهما الى الاصل فكتبوهما بلامَين «اللّذيّا واللّتيّا» لأنّ ذلك لا يُشبه التثنية. ولا تُحذف اللام من «اللاّئي واللاّتي» لانهما لا يلتبسان بالتثنية وانّما حُذفت اللام من الّذي والّتي لانّه اسم مُبهم طويل كثير الاستعمال يلزمهُ حرف التعريف ولا يفارقهُ فتكثر في اوله الاشباه وللفصل بين التثنية وغيرها. وكذلك كلُّ فعل أُدغمت لامهُ في علامة الضمير مثل «أخذتُ وأَجدتُ وبَسطتُ وخَبطتُ» ومثل قوله (١): «يُدرِككُّم الموتُ» لا يُكتَب ذلك الّا على البيان ولا يُحذف لأنّ هذا الضمير يفارق الفعل فيكون مرّة وانّما

١) سورة النساء ٨٠

ومرةً نوناً مثل « فَعلُوا وفعلنَ » ولا يلزم. فحكمهُ حكمُ المنفصل الّا ان يقع شيٌ من هذا في باب نحوٍ او حكاية لغةٍ فتثبت على اللفظ والادغام ليتبيَّنَ المقصود كاستشهادهم في الادغام بقول علقمة (٢٩) :

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطَّ بنعمةٍ فحقَّ لشاسٍ من نداكَ ذَنوبُ

فلو كتب هذا « خَبطْتَ » بالتاء لَمَا عُلم معنى الاستشهاد به . وكذلك ما كان في كلمتين مثل « هل تدري » اذا كتبتهُ في نحوٍ او تفسير لغة كتبتهُ على اللفظ بالادغام كقول الشمّاخ :

وقلتُ بمشروهِ كأنَّ عيونَها الى الشمسِ هَتدري وكيٌ أوا كبرُ

يريد « هل تدري » . وكذلك قولهم « كنتُ معَّهم » يريدون « معهم » . لأنّ مثل هذا لا يعلم الّا بحكاية اللفظ بالخطّ . فامّا ما أُجري في الخطّ من المدغم في كلمتين مجرى المدغم في كلمة واحدة كئلّا والّا وعمَّا وممَّنْ وممَّا ومِمَّنْ ولِمَّا واما فقد مضى تفسيرهُ في ما تقدم. فهذا قياس كتاب جميع الادغام

٣ حذفُ غير المدغم لاجتماع الأشباه او الشبيهين في كلمة

فامّا ما يُحذف لاجتماع الاشباه بغير المُدغمة فانّ كلّ ألِفَيْنِ او واوَيْنِ او ياءَيْنِ اجتمعتا في كلمة واحدة حُذف احدهما وأُثبت الآخر الّا أنْ (٣٥) يُخاف لبسٌ او يُحتاج الى عوضٍ او يُستخفّ شيٌ فلا يُحذف . وكلُّ ثلثِ ألفاتٍ او واواتٍ او ياآتٍ اجتمعنَ في كلمةٍ حُذفت احداهنَّ وأُثبتت الثنتان على ما نحن مبيّنوهُ ان شاء الله

٤ حذفُ غير المُدغم لاجتماع الشبيهين خاصّةً في كلمةٍ

فن ذلك احدى الالفين في مثل « آدمَ وآخرَ وآمرٍ وآيبٍ » وفي مثل المرآة والمرآة والنجآة » وفي مثل « آلاء وآجام وآباء » ومثل الإسار مصدر أسرتُ (١) ، وقوله (٢) : يسألون عن أنبآئكم » وهما يقرآن. الّا انهم يكتبون مثل « قرأا » او « ملأا » كليهما بألفين لئلا يلتبس بفعل وحذفوا احدى الواوين في مثل « داود وطاوس

---

١) كذا في الاصل والصواب : « الإسار مصدر أسارتُ »

٢) سورة الاحزاب ع ٢٠

ومَوْئلة وشؤون ورؤوس ومسؤول وساءُوا وجاءُوا جيأً وهم يجيئون ويسيئون ويقرؤون ويشنؤون ويجشؤون وهم يجئون ولم يشؤا • حذفوا كلّ ذلك لاجتماع الواوَين والتضام احداهما واثبتوا في مثل «رووا واستووا وهم الأقوون ويحتوون» المفعولين لانفتاح الاولى ولانّهم قد يتوهّمون من الثقل والخفّة في الخطّ ما يتوهّمونه في اللفظ • ومع ذلك انّ لام الفعل في هذه الاشيا • (ز٥°) محذوفة فلمّا رأوا خفّة الفتح لم يخلّوا بالكلمة بحذف شيءٍ آخر

واماّ التقاء الواوَين في قولهم «ذوو مال» فللفصل بين التثنية والجمع واحدى اليا•ين في مثل «الجاآي واللائي والقرشيين والمستهزئين» الجمع يحذف لما قلنا • ولا يحذف من التثنية في مثل «القرشيين والمستهزئين» لئلا يلتبس بالجمع ولا من مثل «المصطفَين والاقويين والاعليين» لما قلنا ولانفتاح الاولى ولا يحذف من «ابنين» لانّه اسم منقوص فعلامة الجمع فيه كالعوض من نقصانه • فلو حذفت الهمزة لبقي على حرفٍ واحدٍ • ولا يحذف في مثل «رئيس وبئيس» فيلتبس بباب فيعل من المعتل عينه كسيّد وميّت • وكذلك كلّ مصدر مما اعتلّت عينه بالياء وكانت على التفعيل «كالتّبييذ والتّعيير» ولا يحذف لئلا يلتبس بمصدره الذي على التفعّل «كالتعيّر والتبيّذ» • وكذلك يفعل مما فاؤه همزة وعينه ياء او واو مثل «يئيض أيضاً ويؤول أولاً» • ولا يحذف لئلا يلتبس بيفعل ويفعل من مثل الأل والأض • فهذا قياس كلّ ما يجتمع فيه مثلان فيحذف منه او لا يحذف

• حذف غير المدغم لاجتماع ثلثة اشباه في كلمة •

واماّ اذا اجتمعت ثلثة اشباه ويحذف منها واحد فمثل الألفات في (ز٥°) «القرءآت والجزءآت والفجاءآت» وقد جاءا كلاهما وشاءا ولن يشاءا • ومثل الممدود كله اذا نصب ونوّن كقولك «شربت ماءاً ولبست رداءاً وأعطيته إعطاءاً» ومثل الهمزتين يفصل بينهما بألف كقولك: «آأنتِ ام ام سالم» ومثل

* اعلم انّ في هذه الفصول عدّة اصطلاحات لا يجري عليها النّحاة الاعادون ومنها ما لم يكن ضروريّاً لعدم وجود الحركات الطبيعيّة فلذلك لا يشا الدّة على غير الالف والمدّة مع الهمزة المتحرّكة فوق الحروف الوسطى غير الالف (المشرق)

الواوات في « المَوْؤدة ويَسْؤُون وتَجوءُهُمْ ويَنْؤُون بالأعباء » ومثل الياءات في « النَّبِيّين والطَّبِيّين وتَحِيّين وتَقِيّين »

٦ حذف ما شُبِّه باجتماع الأشباه وبحروف اللين في كلمة

وقد يُشَبَّه بالأشباه ما قاربها وبحروف اللين ما ليس منها في بعض المواضع فيُجرى مُجراها في الحذف . فمن ذلك الالف واللام اذا وقعت قبلها لامُ القسم او لام الإضافة حُذفت الالف لأنها تقارب اللام في النحية وهي حرفُ وصلٍ كثيرُ الاستعمال وذلك قولك « للمَرءُ أفضلُ من المرأة . وللمَرءِ على المرأة فضلٌ » فكأنّ لامَي القسم والاضافة ههنا شُبِّهتان بهمزة الاستفهام من قول الله جلّ وعزّ (١) : « آللهُ أَذِنَ لكم » ونحوه . وكذلك الف الوصل في « أيْمُ اللهِ وأيْمُنُ الله » لأنها مفتوحة كألف اللام وهي كثيرة الاستعمال فتُجرى مُجراها (٢) فتُكتب « لَيْمُ اللهِ ولَيْمُنُ اللهِ » الّا ان تجعل ذلك نفياً بلا كما كان الايجاب باللام فيُكتب « لا أيْمُنُ اللهِ » وقد كنّا ذكرنا تفسير ذلك ولا يُفعل هذا بسائر ألِفات الوصل غيرِ المفتوحة كقولك : « لَاسْمُ اللهِ أجلُّ . ولِاسْمِ اللهِ خضعت الاسماء »

واعلم انه اذا دخلت الالف واللام على كلمة اوّلها لامٌ ودخلت عليها احدى لامَي القسم والاضافة حُذفت مع ألف الوصل لامٌ وهي التي في اول الكلمة لأنّ ذلك عندهم كاجتماع اربعة اشباه فحذفوا اثنين كقول الله (٢) : « ولله على الناس » « للذين يُؤْلُونَ من نسائهم » وقولك : « للَّيْلُ أخفى للويل » ويستوي التثنية والجمع والمذكر والمؤنث في هذا الوضع في الذي كقولك « للذي وللتي وللذَيْن وللتَيْن وللذين وللتين » ولا فرق بين ذلك الّا بالشكل . واما من كتب (٣) « ءالّذين كفروا » فلا يجوز ما كُتب في غير المُصحف وقد بيّنّا ذلك . ولا يجوز ان تُجرى همزة الاستفهام مُجرى هاتين اللامين فتُحذف معها اللام التي تكون في اول الكلمة لانّ الألف لا توصل في الخطّ بما بعدها . وما لم نذكره من هذا النحو قياسُه ما ذكرنا (٤)

(١) سورة يونس ع ٦٠

(٢) سورة آل عمران ع ٩١ وسورة البقرة ع ٢٢٦

(٣) سورة المعارج ٣٦ . وراجع ما ورد سابقاً في الفصل الثاني من الباب الرابع

٧ حذف ما شُبّه بالاشباه من كلمتين

ومما يُشبّه باجتماع الامثال في كلمة كانت في اوّلها الفاً ولحقتها همزة الاستفهام مثل قوله (١ : « آمنتم له قبل أن آذنَ لكم » وقولك : « آمِرٌ انتَ ام ناهٍ . وآخِذٌ انتَ ام مُعطٍ » . لا يُكتب ذلك الا بألفين ومنه كلُّ كلمة اوّلها ألف وصل ولحقتها همزة الاستفهام حُذفت الصلة كما تقدّم تفسيرهُ في باب الهَمزة

ومنه حرفُ النداء فانّه يُحذَف الفُه اذا وقعت بعدها كلمةٌ اوّلها همزة قطع ويخلفها صورةُ الهمزة مكانَها كقوله (٢ : « يا أبتِ لا تعبُدِ الشيطانَ » وكقولهم « يا أمتاه ويا أُخيّ ويا أخي » بالتصغير والتكبير - « ويا أولاه ويا أيّها الرجل ويا أيتها المرأة » . فان كانت الهمزة بعدها ألف كآدمَ وآخرَ لم تُحذف منها الف « يا » لسقوط الألف التي بعد الهمزة ولكن تثبت مثل « يا آدمُ ويا آخرُ » . وان وقعت بعدها الفُ وَصْلٍ أثبتت بعدها الف « يا » وحُذفت الف الوصل لأنّ الزائدَ بالحذف أولى كقولك « يا ابنَ الأكرمين ويا امرأةُ » وكقوله (٣ : « ألا يا اسجُدوا لله » وقولك « يا الله » في لغة من وصل ولأنها تسقط (٤) من اللفظ ابداً كقول الراجز :

اني اذا ما حدثٌ ألمّا   أقولُ يا اللهمَّ يا اللهمّا

ومن ذلك قول الشاعر :

مِنَ اجلِكِ يا التي تيّمتِ قلبي   وانتِ بخيلةٌ بالودّ عنّي

وقول ذي الرُّمّة :

ألا يا اسلمي يا دارَ ميّ على البِلى   ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

كأنّهم فعلوا هذا لاجتماع الألفين مع كثرة الاستعمال ولم يريدوا اجراءَ هذا مُجرى همزة الاستفهام لأنّ ذلك على حرفٍ واحد وهذه حرفان بمنزلة « ها » في التنبيه . فاذا حُذف احدُهما خلفَهُ الآخر ودلّ عليه

---

١) سورة طه ع ٧٦

٢) سورة مريم ع ٤٥

٣) سورة النمل ع ٢٥

٤) في ذيل الكتاب الحاشية التالية : « صرف حبّة عنها لأنّه جعلها على حيالها بعد سقوط الهاء كأنّ اسمها حبّ »

وتحذف الالف من حرف التنبيه اذا وقعت بعدها همزة من اوّل اسم مضمر او الف وصل لكثرة استعمال التنبيه معها ولاجتماع المثلين وذلك قولك: «هأنَاذا وهآك وهآ نتم ولا هَآللهِ ذا» والمحذوفة ههنا الف الوصل ولا يجوز حذفها من مثل «ها انّ زيداً في الدار» لانهُ ليس مما يكثر استعمالهُ مع حرف التنبيه ومنهُ قول النابغة (٣٠٤):

ها انّ تا عِذْرَةٌ إلّا تكنْ نفعتْ   فانّ صاحبها قد تاهَ في البَلَدِ

وتُحذف ألف «ها» ايضاً في غير هذا الموضع وسنذكر ذلك ان شاء الله

٨ الحذف على الشُّذوذ تشبيهاً باجتماع الاشباه في كلمة

ومما يُحذف على الشُّذوذ تشبيهاً باجتماع الامثال لكثرة استعماله وانّهُ لا يلتبس عند حذفه بغيره ألِف «إله» التي بعد اللام انما هو في اللفظ «الَاهٌ» كما ترى. وكذلك يُفعَل اذا لحق الاسمَ الالفُ واللامُ فيكتب «الله» وهو في اللفظ «اللاهُ».

ومنهُ الف «العٰلمين» (العالمين) التي بعد العين انما فُعل ذلك لما كان في اول الاسم الفٌ ولام وفي آخره واو ونون فطال وكثُر استعمالهُ مع ذلك حتى عُرف وقاربت الالف اللام في الصورة فكثرت الاشباه فيه ولم يلتبس حين حُذف. ولذا لم تدخل الالفَ واللام في هذا الاسم ولم تقع في آخره علامة الجمع لم يجز حذف الالف من الكتاب. ولا تُحذف منهُ ايضاً اذا ثُنّي لزاعة الالتباس. وعلى هذا القياس حُذفت من كل صفة كثيرة الاستعمال من اسماء الفاعلين اذا اجتمع فيها ما (٣٠٤) اجتمع في العٰلمين كالصّٰلحين (الصالحين) وهو شاذّ لا يقاس عليه. ولا يكتب احد «الطّٰلبين والطالبين» ونحوهما الا باثبات الالف

وقد كتبوا «السّمٰوٰت» (السماوات) بحذف الالف وهما أُبدلانِ بين الالفين واوًا وان كان في اولها التعريف وفي آخرها علامة الجمع فاذا كتبوا «السّماوةَ او سَماوةً» لم يحذفوا. وعلى هذا حذفوا الالف من «الملٰئكة» (الملائكة) بعد اللام لانّها جمعٌ ايضاً وفي آخرها تأنيث وكثر استعمالها. وكذلك «سلٰمٌ» (سلام) عليك «في صدور الكتب» والسّلٰمُ عليك» لكثرة الاستعمال وانّ الالف كاللام في الصورة فحذفت في التحيّة ولا تُحذف في مثل «السّلامُ المؤمن» ولا في مثل «عبد السلام»

ومما أُجري هذا المُجرى من اسماء الايام «الثلثاء» «الثلاثاء» لكثرة الألفات واللامات فيه مع اجتماع علامة التأنيث والتعريف فحُذفت منه الألف التي بين اللام والثاء.

ومن ذلك حذف الألف من «الالف» «الآلاف» جمع ألف اذا كان العدد مضافاً اليها لأنّ ما قبل العدد يوضح المعنى وذلك «ثلثة آلف واربعة آلف» الى العشرة فان لم يُضف اليها العدد أُثبتت فيها اللام فكُتبت هي الألوفُ التي تُعرف . «وهذه الآلاف» لئلا تلتبس بالواحد . فان كانت (٢ و ٤) «الآلاف» جمع الف الذي هو الإلفُ واُضيفت الاعداد اليها لم يَجُز فيها الحذف لأنها لم تكثر كثرة العدد . ومنه «ثلثٌ» «الثلاث» في العدد اذا أُضيفت الى المعدود حُذف منها الألف فكُتبت «ثلثُ نسوةٍ وثلثة» لأنّ ما بعدها يوضحها . وان افردتَ أُثبتت الالف لئلا تُشبه «الثُلُث» الذي هو بعض الشيء كقولك: «انّ من خلال الزمن ثلاثةً» . وان كانت صفةً حُذفت ايضاً كقولك: «النسوة الثُلث والقرى الثُلث» فاما «ثلثة» فتُحذف منها الالف مفردةً كانت او مضافة وكذلك «ثلثون» لأنّ في لفظها علامة تأنيث وجمع وانما حذفوا ذلك لكثرة استعمال العدد وكراهية اجتماع ما اشبه المثلين مع انّ معناه معروف . ولم يحذفوا الف «ثمنية» (ثمانية) لاجتماع مثلين ولكن تخفيفاً ولأنّ فيها ثانياً يكون خلفاً من الالف ومعناها معلوم مفردة كانت او مضافة . وكذلك «ثمنون وثمنوك» (ثمانون وثمانوك) وربما «ثمانٍ» فلا يجوز فيها حذف الياء البتة لأنها عوض من ياء النسب وليس يخلفها شيء فهي ثابتة في الافراد والاضافة كقولك «ثماني نسوة وثماني مائة درهم وهؤلاء نسوة ثمانٍ» . ولا تُجرى هذه مُجرى «ثمنية وثمنين» لأنّ في هاتين علامتين صارتا كالعوض مما حُذف منها . والكتّاب (١ و ٤) يحذفون في العدد والحساب ذلك فيكتبونه «ثمني مائة» وهو رديء ونحن ذاكرون ما حُذف تخفيفاً لغير اجتماع المثلين

٩ الحذف للتخفيف قياساً لا لاجتماع المثلين في كلمة

فمن ذلك كلّ ياء في آخر اسم وما قبلها مكسورٌ وهي منوّنة في حال رفع او جرّ او ما اشبه ذلك لأنها تُحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين في حال الإدراج وأُجري في الكتاب على ذلك في الوصل والوقف فكُتب «هذا قاضٍ ومررت بجوارٍ وهذه ليالٍ وثمانٍ وهذا عمٍ ومشترٍ ومستقصٍ» ونحو ذلك فان أُضيف شيء من

ذلك لو دخلهُ الالف واللام أُثبتت فيه اليا. لأنَّ التنوين قد ذهب فيكتب « هذا المثنى والليالي » ومررتُ بقاضيك وثمانيك . وهذا قاضي مكة ومشتري الحمدِ » ونحو ذلك كذلك فهذا جارٍ على القياس

ومنهُ اليآت التي يتّصل بها الضمير بعد حروف الجرّ كقولك « مررتُ به ووقفتُ عليه ومررتُ بغلامه » وذلك انها تُحذف من اللفظ في الوقف . وكذلك الواو بعدها في موضع (٣٤ ب) النصب كقولك : « رأيتهُ وأتُهُ ولعلّهُ » وليس ذلك هاهُنا بتركه في ضرورة الشعر نحو قول الشاعر :

فان يَكُ غثًّا او سمينًا (١) فانني   سأجعلُ عينيهِ لنفسهِ مقنعا

ومنهُ حذف الف الوصل من « ابن » خاصة اذا كانت صفةً لعلمٍ او ما اشبه العلم من كُنيةٍ معروفة او لقبٍ غالبٍ او صفةٍ مشهورةٍ مضافًا الى مثل ذلك فانها تُحذف من الكتاب كما يُحذف التنوين من الموصول بابن في هذا الموضع من اللفظ ليكون في الخطّ دليلٌ على ما حُذف من اللفظ اذ كان التنوين ساقطًا من الخطّ على كلّ حالٍ وذلك مثل « محمّدِ بن عبدالله وعليِّ بن ابي طالبٍ والمختارِ بن قُطنةَ وابي عمرو بن العلاء وفلانِ بن الخليفة وفلانِ بن فلانٍ وهيّانَ بن بيّانَ وطامرِ بن طامرٍ » لأنها كنايات عن تلك الاشيا . فان لم يكن « ابن » صفةً لشيءٍ من ذلك وكان مضافًا الى مضمرٍ او مبهمٍ او شيءٍ غير ما وصفنا او كان مثنّى او مؤنّثًا لم يجز حذفُ الفهِ من الخطّ كما لا يجوز حذفُ تنوينه من اللفظ وذلك مثل « فلانٌ ابنُ الحبالِ وزيدٌ ابنُ هذا وهذا ابنُ زيدٍ وهذا ابنُك ومريمُ ابنةُ عمران وزيدٌ وعمرٌو ابنا فلانٍ » وان كان قد اضطرّ (٣٥ أ) شاعرٌ فنوّن مثل هذه الاسماء الموصوفة بابنٍ وجب اثبات الالف في الخطّ ايضًا كقول الراجز :

جاريةٌ من قيسٍ ابنِ ثعلبهْ   كأنها حليةُ سيفٍ مذهبهْ

وقد يحذفُ الكتّاب ألف « اسم » في « بسم الله » اذا وقع بين البآ وبين اسم الله لمّا كان مفتتحًا لكل قولٍ وعملٍ وكتابٍ وكانت الالف حرف وصلٍ وعُرف معناهُ حذفوه

(١) في الاصل قثًا بالغلط

تخفيفاً ولا يجوز ان يُفعل ذلك بغيره ولا به مع غير الباء . وغير الله عزّ وجلّ لأنهُ شاذٌ عن القياس

وتُحذف ألف الوصل ايضاً من كلّ فعلٍ اصلهُ الهمزة اذا وقع قبلها حرفٌ لا ينفرد كالفاء والواو ولام القسم وذلك قولك : «زيداً فأتين وعمراً فأمُر» . فإذا سقطت ألف الوصل كُتبت الهمزة ايضاً لانَّ ما قبلها لا ينفرد وهي تتبع حركة ما قبلها . وكذلك قولك «اما زيدٌ فأتمن عمراً وأتمن زيداً وأتجر عبدالله» . ويُكتب «ثمَّ أئتجر زيدٌ . وثمَّ أئتمن عمراً» على حركة ألف الوصل لأنَّ «ثمَّ» تنفرد والواو لا تنفرد . ويُكتب «والله لأتجارك خيرٌ من أئتجار عمرو» لأنَّ «من» تنفرد . ولأنَّ لامَ الاضافة مع مصدر هذا الفعل ونحوه فتجري مُجرى باء الاضافة (35) . وكأنها لا يجوز معها حذف ألف الوصل لأنَّ الاسم اخفُّ من الفعل وانما يُحذف ألف «اسم» على غير قياس وليست الباء والكاف واللام بمنزلة همزة الاستفهام اذا حُذفت معها ألف الوصل من هذه الافعال المصادر وفي غيرها مما ليس بمهموز . فهذا قياس ما نذكرهُ من هذا النحو

ومما حُذف تخفيفاً على غير قياس واطّرد حتى صار كاللازم قياساً ألفُ «ها» التي للتنبيه اذا كانت مع الاسماء المبهمة خاصةً وذلك للزوم الاشارة المبهمة وكثرة استعمالها معهُ حتى عُرف المعنى ولم يلتبس ووجب تخفيفهُ كما فُعل ذلك بيا الزوم المنادى وذلك «هذا وهذي وهذان وهؤلاء وهكذا» . ولا يجوز حذفها من «هاتي وهاتا» لقلة استعمالها ولأنَّ «هذه وهذي» تنوبان عنها وخوف الالتباس ولا يُحذف من هاتين لمثل ذلك . ولا تُحذف في «هاذاك» ولا في «هاؤلائك» لمجيء الكاف لأنها انما تجيء للاشارة الى غائب والغائب بعيدٌ من التنبيه . ولا يجوز ايضاً حذفها في «ها هو ذا وها هي ذي وها هما ذان وها هم أولاء وها هنَّ أولاء» ولا في «ها انا» لئلا تجتمع الفان ولا في «ها نحن» لقلة الاستعمال . واعلم انَّ «هؤلاء» قد حُذفت منها مع ألف «ها» همزة «أولاء» ايضاً (36) وثبتت الواو فيها في الخط كما ثبتت في «هاؤلائك» . وقد حذفوا ألف «ذا» في «ذلك» وفي «كذلك» وألف «أولاء» في «أولئك» وذلك لاجتماع التشابه في الخط . وكذلك ألف «لكن» الخفيفة والثقيلة . وما حُذف على الشذوذ كثير نذكرهُ ان شاء الله

الحذف للتخفيف على الشذوذ لغير اجتماع الأشباه ولا للتشبيه باجتماع الأشباه

فمن ذلك ألِف « الرّحمٰن » (الرّحمان) اذا دخلت عليه الالف واللام وذلك لشهرته وكثرة استعماله مع الله كما فعل ذلك « سُبْحٰنَ » (سُبحان) الله » تُحذف الفهُ ما دام مضافاً الى الله لأنّه كثر استعمالهُ في تنزيه الله به عند كلّ حادثةٍ وكذلك هو ان حُذفت الاضافة منه في اللفظ وكان معناهُ ذلك كقول الاعشى :

اقولُ لمّا جاءني فخرُهُ سُبحٰنَ من علقمةَ الفاخرِ

فان أُضيف الى مضمر كقولك « سُبحانك لا كفرانَك » او نُوّن لم يجُز حذفهُ كقول امية :

سُبحانَهُ ثمّ سبحاناً نعوذ بهِ وقبلنا سبّح الجوديُّ والجُمُدُ

(٣٥) ولا يجوز ان يُجرى مجرى سُبحنَ الله شيءٌ ممّا يشبههُ لانه على غير قياس

ومن ذلك « الحرث » (الحارث الذي هو علم ما دامت فيه الالف واللام تُحذف الفهُ لانهُ ممّا يكثرُ تسميةُ العرب به فهو لا يلتبس بغيره فاذا نُزعت منه الالف واللام كُتبت فيه الالف لئلّا يُشبه « حَرثاً » . وكذلك « القسم » (القاسم) فان عُني بهما الصفة كالحارث والقاسم لم يَجُز حذفهُ . ومثلهما صلح وخلد وملك » (صالح وخالد ومالك اذا كانت اعلاماً حُذفت الالف لانّهُ ليس من اسمائهم « صَلْح » ولا « خُلْد » ولا « مُلْك » فيلتبس بذلك . فان عُني بها الصفات لم يجُز الحذف

ومن ذلك الف « ابرهيم واسمعيل واسحق وسليمن وهرون » حُذفت لانها اسماء انبياء مشهورة تكرّرت في القرآن وكثر استعمالها فوجب تخفيفها . ولا يجوز ذلك في ما كان من الاسماء على ابنيتها « كإسرافيل وميكائيل والياس ونعمان وقارون » لقلة الاستعمال

ومن ذلك الف « لُقمٰن » (لقمان) تُحذف لانهُ شُهر بالحكمة وضُرب به المثل فكثُر استعمالهُ . و « عُثمٰن » (عثمان) لانهُ شُهر بالخلافة والصحابة . و « معوية » (معاوية) لشهرته وطوله وتأنيثه . و « مرون » (مروان) لانّ بني مروان شُهروا بالملك . و « سفين »

(سفيان) شُهر بالعلم والورع، فكثر استعمال هذه الاشياء، لما بيّنّا فخفف ولا يجوز ان يفعل (٢٧و) مثل ذلك بنظائرها «بعمران وسلمان وبرجان وعثمان».

ومن ذلك حذفهم الف «دراهم» اذا كان العدد مضافاً اليها وذلك انّ العدد شيء يكثر استعماله وانّ الدراهم قيمةُ لكلّ سلعة فوقوعها في الحساب كثير فهي معروفة لا تلتبس بشيء فيكتب «ثلثة درهم واربعة درهم» الى العشرة بغير الف (١ فإنْ افردتَ من العدد اثبتّ فيها الالف لئلا تلتبس بالواحد فكتبت «عندي دراهمُ واخذتُ دراهمك».

ولا يُفعل «بدنانير» ما فعلوا بدراهم ولا «بقراريط» ولا «مصابيح» لئلا تتصل النونان والرّاآن والسينان وتترك الالف حاجزا بينهما. ومن حذفها في دنانير لزمهُ حذفها في قراريط. واما الدينار الواحد فاذا كان تمييزا بعد خمسة عشر وعشرين ونحوهما حُذفت الفه لحوق الالف في آخره. واذا كان بعد مائة والف لم تحذف. وذلك «عشرون دينرا (دينارا) ومائة دينار». واما «الدوانيق» (الدوانيق) فتحذف الفها اضيف اليها العدد او لم يضف لأنها لا تلتبس بواحدها. وكذلك ايضاً يكتب «دنق» (دانق) بحذف الالف وهما من الاثان فلا يلتبسان لكثرة الاستعمال والشهرة ولا يجوز حذف ما كان على ابنية هذه الاشياء. كتنانير (٢٧و) ومساجد ومساكين ومنابر ومحاريم. لأنّ هذا الحذف شاذّ.

ومن ذلك حذفهم الف جمدى (جمادى) لما كان علماً مشهوراً وهو اسم شهر يكثر استعماله في التاريخ وغيره. وهو مع ذلك مؤنث خفّفوه فحذفوا منه ما لا يجوز حذفه من نظائره.

ومن ذلك حذفُ الالف والواو من قولك «ابجد» وهو كنية بمنزلة ابي زاد (٢ والالف من «هوز» (هوّاز) وهو اسم بمنزلة «كوّان» والواو من «كلمن» (كلمون) وهو اسم بمنزلة «قلمون» والياء والالف من «قرشت» اصلهُ «قريشيات» وهو كجمع «قريشية» تصغير «قرشية» يدلك على ذلك قول الاعرابي:

١) هذا الاصطلاح لا يُجرى عليه اليوم (المشرق)

٢) يريد انّ اصل أبجد «ابوجاد» وهو من التراكيب الضعيفة. ومثله قولهُ في بقية الاسماء الابجدية (المشرق)

اتيتُ مُهاجرينَ فطلبوني ثلاثةَ أَسطرٍ مُتتابعاتِ
وخطّوا لي ابا جادٍ وقالوا تعلّم سعفصًا وقُرَيْشياتِ

فقد بيّن باعرابه هذه الاسماء معانيها

وكان ابو عمرو بن العلاء يقرأ « فأصدّقَ وأكونَ من الصالحين » بواو (١ ويقول « كُتب هذا بحذف الواو كما يُكتَب كَلَمْن بلا واو »

فقد اتينا على عامّة ابواب الحذف وما لم نذكرهُ ففي ما ذكرنا دليل عليه

(له بقيّة)

النقابات والاضراب

بحث اجتماعي بقلم الاديب الشيخ ادوار الدحداح

سوقُ الإضراب من الأعمال هذه الايّام رائجةٌ رواجاً لم يُعهَد له مثيل من قبل . فكان ذلك من اكبر العوامل التي ارتبكت لها المعاملات وشُلّت الحركة وتعطّلت المصانع وقلّ الإنتاج وارتفعت الأثمان وعمّ الضيق . وهذا أدّى الاعتصابات على ما هي اليوم من الثوران منذرةً بهبوب عاصفة هوجاء قد تُقوِّض اركان النظام الحالي اذا لم تتدارك الحكومات الامر وتنظر بعين الدقّة في اسباب الشكوى ودواعي التذمُّر فتجيب منها ما كان عادلًا وتُعرض عمّا جاوز الحقّ . ثمّ تنشط للعمل على تفريج الازمة الاقتصاديّة التي أُحكمت حلقاتُها وتضرب بيدٍ من حديد على مغالاة التجّار واشتطاط ارباب المصانع ومطامع العمّال

اجل ان امثال هذه الاعتصابات التي نشهدها اليوم قد يعزّ على الحكومات مهما قويت سلطتها ان تخمد من شركتها الى النهاية اذا لم تتوسّل الى محو الروح الثوري الناشئ في صدور الزعماء القائمين بها . فيرجعوا عن مبادئهم التي من شأنها تقويض اركان المجتمع الانساني الى مبادئ العدل والحقّ المتبادل

١) في القرآن في سورة المنافقين (ع ١٠) : وأكنْ

وهذا الروح يصعب محوهُ من صدور الزعماء والمهيّجين في زمن قريب ألا اذ قامت جماعات العمال وادركت التربية فشقّت عصا الطاعة على زعمائها الفسدين وسارت بهداية زعماء مستقيمين يريدون لهم حقيقة الخير والنفع من طرق مشروعة لا غبار عليها

وقد رأيتُ حيال هذه الاعتصابات الآخذة بعضها برقاب بعض وحركة النقابات المستمرة التي ينقل البرق صداهما الينا كلّ يوم ان اوالي قرّاء الشرق الكرام ببحث عن النقابات والاضراب فاقول :

بحث اول عن النقابات

١ نظرة عامة

المرء — عاملاً او مستعملاً — مكلَّف بالشغل وكدّ النفس تحصُّلاً للرزق . وبينهما تفاوت في الحالات لا بدّ منه لتبادل المنافع والمصالح وقيام الحياة الاجتماعية وعمران الكون

نعم أنّ بين اعضاء المجتمع الانساني على تفاوتهم صلات مترابطة وواجبات متبادلة أملتها بها الشرائع والنواميس . فاذا حُفظت سلم النظام وساد الوئام واذا خولفت او أُهملت سادت الفاقة فقامت الفوضى وعمّ الاضراب

والمرء بطبيعته لا يأمن العثار وقد يلج فيه . والقويّ اميل الى الخطر من الضعيف فالعامل الذي لا يملك من حطام هذه الدنيا غير قوّة عضلاته وجودة بنيته منقادٌ اضطراراً الى مشيئة صاحب المال يجدّ ويدأب في العمل سعياً وراء الرزق طبقاً للشروط التي يقرّرها صاحب المال ووفقاً للمكان والزمان اللذين يعيّنهما والا فاتهُ رزقهُ وتجرّع غُصص الضنك . وقد يهون الامر على العامل لو لزم المالك حدّ العدل والاعتدال . على ان الغرور قد يحمل فريقاً من اصحاب الاموال الى الإخلال احياناً بواجباتهم وهذا مما يؤدّي الى إلحاق بعض الحيف والحيف بالعامل الذي لا يستطيع تداركهُ وحدهُ . ففطن الى مواطن الضعف منهُ وادرك أنّهُ لا يملك بمفرده قوّة كافية تمكّنهُ من استرجاع حقّه الضائع او يدفع بها كيد المتطرسين من الاولياء . فوجّه نظرهُ الى زملائه ودعاهم الى التضافر والتآزر فنظم النقابات

والنقابات جمعيات تجمع شمل العمال من ابناء المهد الواحد او الحرفة الواحدة على شروط معيّنة يتفقون عليها ويتعهدون بتنفيذها ويتعاهدون على ان يناصروا بعضهم بعضاً في كل مايؤول الى تحسين حالتهم المادية والادبية والسهر على مصالحهم ودرء الضيم عنهم عند كل طارئ . ومما يتصده منشئو النقابات ان يتعارف الافراد الذين يتعاطون مهنة واحدة ويتباحثوا فيما بينهم في شؤون حرفتهم المشتركة ويجمعوا الاموال لتأسيس معاهد علمية او مؤسسات خيرية كملاجئ للعجزة والعاطلين منهم او مروّجات صناعية الى غير ذلك

وبقدر ما تنمو النقابة بوفرة عدد شركائها واجماع كلمتهم واحكام عرى الاتحاد بينهم تصبح كذلك اقوى عملاً واعز جانباً فيُرهب امرها ويُخشى بطشها

ان العامل المعتزل والمتخلف عن رفقائه لا يبوء الا بالخيبة والخسران اذا اغتصب حقه غاصبٌ اذ لا مُعين له يأخذ بناصره . والاشتراكيون من اشدّ الدعاة الى مناصرة النقابات لأنهم اتخذوها سلاحاً ماضياً في ايديهم يقهرون به اصحاب الاموال . ولقد ذهبوا الى ان احبّ الاشياء الى صاحب المال ان يرى أُجراء متفرقي الكلمة مشتتي الرأي لا عصبيّة تجمعهم ولا آصرة تربطهم

ولهذا حرص العمال على تأسيس النقابات . وما كادت الحكومات تُقرّها من عهد قريب حتى انتشرت انتشاراً عظيماً وتعدّدت النقابات فصارت نقابة لكل اصحاب معهد واحد او حرفة واحدة

ولم يقتصر الامر على الصنّاع بل سرت حمّى النقابات الى اصحاب الاموال وارباب المصانع والاولياء فتكرّروا في امرهم وخافوا بطش العمال فاحتذوا حذوهم فأنشئت نقابات للاولياء كما أُنشئت للعمال

يلوح مما تقدّم ان النقابات في ذاتها جمعياتٌ مفيدة اذا لزمت حدوداً تراعي معها حقوق اعضائها دون مساس بحقوق الغير . وما دام الامر كذلك فلا جُناح عليها ولا غبار على القائمين بها . وهذا ما دعا جميع السلطات من مدنيّة وكنسيّة الى الاعتراف بها واثباتها . غير ان من النقابات من يحيد عن الطريق القويم وينصرف عن الغاية الاصليّة الى مهواة الثورات والقلاقل كما هي الحال في روسيّة وفي سائر بلدان اوربا . وقد قال المسيو لاروا بوليو كبير رجال قرننا الاجتماعيين في كتاب له :

. انك تجد معظم العملة ذوي النشاط والهمة يتصرفون الى اشغالهم و تصبح النقابة بتخليهم عرضة لبعض المتملقين الشاغبين الذين يتصدون لقيادة الآخرين بقصد تسخيرهم لمصلحتهم الذاتية . فهم يتخطون لانفسهم حق التكلم عن تلك الجماهير الغفيرة مع انهم ليسوا الا نفراً منهم .

٢ تاريخ النقابات

يرجع امر النقابات كما نعرفها اليوم الى عهد قريب الى حوالي منتصف القرن التاسع عشر . على انه كان للعمال منذ القرن السادس عشر جمعيات تقرب بينهم وتعرف في فرنسة « بعصائب الرفقاء » (Compagnonnages) وفي انكلترا « بشركات العمال » (Trade-Unions) وفي سائر البلاد بما يقرب من هذه الاسماء . وكانت هذه الجمعيات تعمل تحت طي الخفاء . لان الحكومات كانت تطاردها وتفت في عضد أعضائها لريبة سبقت الى نفسها من جراء تصرف المنتمين اليها . ثم تطورت هذه الجمعيات حتى عرفت في فرنسة « بطوائف الحرف » (Corporations) وهي تختلف تمام الاختلاف عن نقابات اليوم . وما زالت على منوالها في فرنسة حتى امر المسيو تورغو الوزير الفرنسوي المشهور على عهد لويس السادس عشر بالغائها سنة ١٧٧٦ فألغيت وذلك حرصاً على حرية التجارة وتأييداً لمبدإ الحرية الفردية . فبينا ترى النقابة تترك للعامل الخيار في الانضمام اليها او الانفصال عنها كانت طوائف الحرف تقيد العامل وتكرهه على الاحتراف بحرفة معينة دون سواها ولا تسمح له مطلقاً ان ينتقل عنها الى غيرها او أن يبدل وليه بولي آخر . كما انها كانت تحظر عليه حق الانتقال من بلدة الى اخرى سعياً وراء الربح واتباعاً للرزق . ولم تكن الطوائف تنصف العامل من وليه الا عند الضرورة القصوى والذنب الفاضح . وللأولياء على العمال السيادة المطلقة ولم يكن من حق للعامل ان يصير ولياً بدوره .

ثم لما كانت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وأعلنت مبادئ الحرية أبت على العمال حرية التضافر والتضامن خشية ان يعودوا الى نظام طوائف الحرف الممقوت . اصدرت قانوناً يعاقب كل طائفة من العمال او الاولياء يزيد عددها على العشرين . فلم يقابل العمال هذا القرار بعين الرضى لانهم رأوه حجراً بحقهم إجحافاً بيناً بينما

كان الاولياء يعقدون بينهم الاتفاقات السرّية التي يخفى امرها على الحكومة نظراً لقلة عدد الاولياء والتوالي بالقسبة الى جماهير العمّال

وما زالت الحال كذلك حتى سبقت الحكومة الانكليزية جميع الحكومات فأقرّت متّحدات العمّال في بلادها سنة ١٨٢٥ ثم اعترفت رسمياً بشخصيتها المعنوية سنة ١٨٧٦ . وتبعت الحكومة الفرنسوية الحكومة الانكليزية فأقرّت نقابات الحرف سنة ١٨٨٤ سواء كانت من الرؤساء ام من المرؤوسين على قاعدة ان يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء

والمتّحدات الانكليزية حرّمت ردحاً من الدهر تحريماً عنيفاً على ان العمّال لم يبالوا بهذا التحريم . ثم اعترفت الحكومة بها واصبحت اليوم لا تكليف عليها سوى تسجيل قوانينها طبقاً لقانون سنة ١٨٧٦ . وهي تتباين عن النقابات الفرنسوية في نشأتها وفي ما صارت اليه . ففي بدء عهدها كانت مصدراً للمنازعات ومهداً الثورات والفتن وما فتئت تناصب ارباب الصناعة العداء فضلاً عن ضررها الجسيم بالصناعة الوطنيّة . ومن مبادئها تعزيز الحواجز القائمة بين كل حرفة واخرى : كأن تحرّم على النجّار وهو في بيت يبتني ان يحرّك بعض الحجارة بدعوى ان ذلك من شأن البنّاء دونه . ولكنها اخذت تدريجياً تخفّف من حدتها وتعود عن المشاحنات والمناوآت حتى طرحت عنها كلّ فكرة ترمي الى الثورات سنة ١٨٤٠ واصبحت من ذلك العهد معهداً يتخرج فيه المحافظون الانكليز . بخلاف النقابات الفرنسوية التي بدأت بان تكون عصائب موادعة ومسالمة ترمي الى تحسين حال العامل ثم ما لبثت ان تعدّت مهمّتها بتعمّد الحرّضين والرّيجين واصبحت بؤرة القلاقل والفساد ولا سيما في هذا الوقت الاخير حيث تحاول قلب الحكومة الحاليّة واقامة حكومة من العمّال على انقاضها كما هي الحال في روسية البلشفية . وهذا ما دعا المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسوية الحالية الى طلب محاكمة نقابة العمّال العامّة بقصد الغاء قانون سنة ١٨٨٤ او تعديله على اثر اذاعتها على العمّال في اول ايار الماضي دعوة الاضراب العامّة

٢ النقابات والعمال

ما كادت النقابات تظهر في عالم الوجود وتبيح الحكومات تنظيمها حتى صادفت من نفوس العمّال رواجاً عظيماً وهرعوا الى الانتظام في سلكها فضمّت بين نطاقها عدداً عظيماً منهم . ففي فرنسا بلغ عدد النقابات ١١٥٠٠ نقابة سنة ١٩١٢ تضمّ ما ينيف على مليوني عامل . وهذا يعادل ٤٠ في المائة من مجموع العمّال . وفي انكلترا بلغ عدد النقابيين ٢٠ في المائة من مجموع العمّال . وفي المانيا بلغ عدد النقابيين ثلاثة ملايين عامل يعادلون ٣٥ في المائة من مجموع العمّال . وفي اميركا بلغ عددهم مليونين ونصف مليون من العمّال

وليست قوة هذه النقابات مقتصرة على كثرة عدد اعضائها بل تستند الى وفرة مالها ايضاً فقد عُني النقابيون بجمع الاموال الطائلة وايداعها خزانة النقابات لتأتي لهم بالعون عند الحاجة . وكانت هذه الاموال بادئ ذي بدء مخصصة لإمداد العمّال ايام الإضراب ثم توسّعت في الامر وأُنفقت جانباً عظيماً منها على غير ذلك مما يؤول الى تحسين حالتهم وتخفيف عنائهم وضمان معيشتهم وزمانهم ايام الشدّة

وهذا ما دعا نقابات العمّال في بعض احوالها ان تتصف بصفة اقتصادية ظاهرة . فتُدعى حينئذٍ بشركات التعاون (Sociétés coopératives) . وعلى هذا الاساس شُيّدت الملاجئ وأُنشئت صناديق التوفير والاقتصاد . وصناديق إمداد المسافرين . وصناديق مساعدة المتمرّنين . وشركات التأمين من الاصابات البدنية . وشركات الدائنية . وشركات الانتاج . وشركات الاستهلاك . ومكاتب التخديم الى غير ذلك

ولقد بسطنا في هذا المقام مناصرة العمّال فيما بينهم ولا بدّ لنا ان نذكر توفية للبحث مشتكياتهم على ارباب المال واولياء الصناعات . وخلاصة هذه المطالب تقليل ساعات العمل اليومية وجعلها ثماني ساعات . والكفّ عن العمل يوم السبت بعد الظهر ويوم الاحد بجملته . وهذه الطريقة تُعرف بالاسبوع الانكليزي . وابطال العمل التزاماً (مقاولة) . وزيادة الاجور ومشاركة العامل في الارباح . وعدم تخديم العمّال بدون وساطة مكاتب التخديم . وامتناع الوليّ عن طرد العامل بدون

محاكمة امام مجلس تأديب يشكل من ممثلي النقابة وممثلي صاحب المال · وتعيين رواتب للمتقاعدين او الذين يصابون باضرار اثناء العمل · وقد تطرّق العمال الثوريون الى طلب نزع الملكية وجعل المناجم والشركات الكبيرة كالسكك الحديدية ملكاً للأمة · اي وقفاً على العمال · الخ · ·

٤ انواع النقابات

تُقسم النقابات فيما بينها الى انواع عديدة نقتصر في بحثنا على درس الفرقين الكبيرين منها · وهما النقابات الثورية والنقابات الإصلاحية او الكاثوليكية · ولكل منهما تعاليم ومبادئ تناقض ما به مذهب الاخرى · فالاولى ترى ان تحقيق رغباتها لا يكون الا بالثورة وبالجهاد العملي والثانية تعتمد على التؤدة والمسالمة · قال المسيو دوران احد كبار كتاب العمران : « ان بين النقابات الكاثوليكية والنقابات الثورية هوّة سحيقة للغاية · فعلى قدر ما تستحق الاولى من التشجيع والتعضيد تستحق الاخرى من الرذل والإقصاء · فليس الاسم فقط يفرق بينهما · فانت حرّ بان تلقب الواحدة بالنقابات الكاثوليكية او المسيحية او الاصلاحية او بما سوى ذلك من الاسماء · فهذا لا يكفي بل عليك ان تنظر الى الروح الذي يضطرم فيها والى التعاليم التي تبثها · والى المبادئ التي ترتكز عليها والآداب التي تسير بموجبها · فالنقابة الكاثوليكية تحترم الشريعة الالهية وترعى العدل وتؤيد الحرية وتصون الملكيّة وتعترف بالسلطة الشرعية · اما النقابة الثورية فتعتبر ذاتها سيدة نفسها فلها قانونها الخاص وتتحكم كيفما شاءت بأملاك صاحب المال وبحرية العمال »

والنقابات الثورية من ألدّ اعداء الدولة والوطن · يكرهون الدولة لانها تؤيد النظام الحالي في التفاوت بين الطبقات · ولأنها تصون لكل مالك ما ملكه وتُقر الغنيّ في غناه · ويمقتون الوطن لأنّ في نصرته نصرة الدولة فضلاً عن ان حبّ الوطن يعزّز الحواجز القائمة بين طبقات العمّال المشتتين في مختلف بلدان العالم ويفسد كلّ تضامن عام بين الطبقات · وهذا ما قاله المسيو سرجيو بالتوتزو من كبار زعماء الاشتراكيين : « ان النقابة الثورية تقاتل الدولة لان الدولة تمثل في نظرها الاغنياء وتعتبرها آلة لتنفيذ مصالح طبقة المتميزين ولكنها ليست كالفوضى تقاتل كلّ سلطة ·

فالفرق الجوهري بين النقابة والفوضى ان الاولى تنكر وجود الدولة ولكنها لا تنكر جميع السلطات الاجتماعية اما الفوضى فتنفي جميع السلطات ايا كان نوعها ٠

واننا نورد هنا للقراء على سبيل المثل بعض المبادئ الوخيمة والتعاليم السيئة التي لا تخجل النقابات الثورية من المناداة بها :

« دين العامل طبقته »

« ليس للعامل وطن »

« الوطن لاصحاب الاملاك ومن الجنون ان يعتقد بوجود وطن من لا يملك له »

« يجب محاربة الدولة لانها تستند في سلطتها على القوة المسلحة . ويجب محاربة الجندية ففي محاربتها محاربة الدولة » — « يجب قلب نظام العمران الحالي لانه نظام فاسد يجحف بحقوق البشر . فهناك طبقتان تتنازعان البقاء : طبقة ارباب المال الذين يملكون بدون ان يشتغلوا وطبقة العمال الذين يشتغلون بدون ان يملكوا . وبعبارة اخرى الماليون والاسياد من جهة والمأجورون والمستعبدون من جهة ثانية » — « يجب محاربة الحكومات سواء كانت ديمقراطية ام جمهورية ام ملكية لان لا مساواة فيها . وما المساواة الا خدعة للشعب . ومن الخطأ الفاحش ان يعتقد العامل انه مساوٍ لصاحب المال »

« على العمال ان يحتقروا رجال السياسة والصحافة والنيابة والوزراء لانهم يسعون وراء مصالحهم الخصوصية ويخونون مصالح العمال »

« ان ثورياً يصير وزيراً لم يعد قط وزيراً ثورياً »

« على العمال ان يكرهوا الحرب ويلقوا السلاح من ايديهم او يصوبوا نيران بنادقهم الى صدور ضباطهم كلما دعت الحاجة »

« ليس عدو العامل زميله الذي يكدح وراء رزقه من الشعوب الاخرى بل ان عدوه الالد من كانت طبقته من غير طبقته »

« الحرب حرب طبقات لا حرب شعوب وأمم »

وقد يطول بنا الشرح لو حاولنا ان نأتي في بحثنا هذا على جميع التعاليم التي يأخذ بها العمال الثوريون ولكننا نكتفي بذكر ما تقدم وقد التقطناها من كتبهم واقوال خطبائهم . وفي ما اجملنا دليل كافٍ على الخطر الرهيب الذي يهدد نظام الكون لو اخذ العمال بهذه التعاليم وعملوا بها

اما النقابات الاصلاحية او الكاثوليكية فتسفه هذا الرأي وتحاربه محاربة شديدة وتبشر بالوفاق والمسالمة وتسعى وراء تحقيق رغباتها بالطرق المشروعة . وهذه النقابات جديرة بالتشجيع والمعاضدة . وقد رأينا رؤساء الكنيسة يناصرونها ويسهرون على قوانينها لئلا يتسرب اليها شيء من المبادئ الفاسدة . وفي القوانين التي

وضعها قداسة البابا بيوس العاشر ومن قبله قداسة البابا لاون الثالث عشر خير دليل على صلاحية هذه النقابات . واننا نقتطف هنا بعض المواد من قانون قداسة البابا بيوس العاشر للنقابات :

(المادة السابعة) — ان الواجبات التي يفرضها العدل على العمال والصناع هي :

« القيام خير القيام بالاعمال التي تعهد العامل من تلقاء نفسه بتنفيذها طبق النظام »

« الامتناع عن إلحاق ضرر ما بأموال الغير وإهانة ما الشخص الرئي »

« الامتناع عن الالتجاء الى القوة او الجنوح الى الثورة حتى في حالة دفاع العامل عن حقوقه الشخصية »

(المادة الثامنة) - ان الواجبات التي يفرضها العدل على ارباب الاموال واولياء الصناعات هي :

« اعطاء العمال اجرة عادلة »

« عدم سلبهم ما يدخرونه سواء كان الامر بطرق العنف او الغش او الربا العلني او المستتر »

« منحهم الحرية التامة في تتميم واجباتهم الدينية »

« عدم تعريضهم الرشوة او تشجيعهم للقيام باعمال تثير الشكوك »

« حضهم على حب الأسرة ودفعهم الى الاقتصاد »

« عدم تكليفهم باشغال تفوق طاقتهم او لا تناسب اعمارهم او اجناسهم »

ولا بدّ من ان يكون القارئ قد ادرك افضلية الشرائط الحكيمة التي تفرضها الكنيسة على المبادئ التي يبشر بها الزعماء الثوريون . وفي ما تقدم البيان الكافي على ان الكنيسة لا تنفر من النقابات ولا تبغي بالعمال شراً . بل هي تمرض عن النقابات الثورية التي مرتها الكردينال مري دفال سنة ١٩١٣ بقوله : « انها نافية للدين هادمة لحقوق الفرد والأسرة مقوضة لنظام العدل والمحبة البشرية » . اجل انها تنفر من هذه النقابات وتزدلها وتعمل بكل قواها على وضع حد للأضرار التي تلحقها بالحياة الاجتماعية ولكنها في الوقت ذاته تشجع كل التشجيع النقابات الاصلاحية التي منها وحدها يُرجى النفع والخير للأمة البشرية وتحسين حالة العمال وتحويلهم مطالبهم المشروعة بطرق مشروعة وتنشيطهم على القيام بواجباتهم الدينية والوطنية

وفي العام المنصرم كتب الكردينال كسباري بهذا الصدد رسالة الى مدير احدى النقابات الكاثوليكية في فرنسا ومما جاء فيها : « انّ قداسته يرغب من صميم فؤاده ان تتألف في كل انحاء فرنسة نقابات قوية تنتعش بالروح المسيحي — كما هي

نقاباتكم — فتضمّ اليها العاملين والعاملات المختلفي الحرف والمهن تحت لواء جمعيات عمومية واسعة النطاق تربطهم روابط المحبة الاخوية . لان الحبر الاعظم يعرف حقّ المعرفة انه بتشجيعاته هذه يخدم الطبقة العاملة في اقدس حقوقها وفي الوقت نفسه يوطّد قواعد السلام في المجتمع البشري •

حبّذا لو اخذ البشر بهذه التعاليم الرشيدة فاعارها ارباب المال واولياء الصناعات جانب التفاتهم ورضخ لها العمّال لساد الوفاق وعمّ الرخاء وانفضّت مشاكل عديدة من تلقاء نفسها ولم يؤدِّ بنا الحال الى ما هي عليه الامور الآن من التفظيع والتقتيل في روسيّة

هنا تتجلّى الروح الدينية باجمل مظاهرها ويشعر الانسان بحاجة شديدة اليها فهي الكفيلة بتحقيق النجاح بيننا تحقق كل وسيلة سواها

انتهى كلامنا عن النقابات ويليه في عدد آخر الكلام عن الاضراب ان شاء الله

الكنيسة ومناهضة الحروب

للخوري بطرس فرج صفير احد اساتذة كلية القديس يوسف

بعد ان نشرنا في هذه المجلة مقالةً في الانجيل والسلم العامّ قرأنا في عدد مارس المنصرم من مجلة الهلال الغرّاء مقالاً لنشيا له مع الموضوع الذي كنّا بصدده علاقة . فقد جاء فيها ان نفرًا من اعاظم الانكليز انشأوا مشروعاً عظيمًا يعرف باسم « عصبة الاديان » والغاية منها على ما في نشرتهم الرسمية « تنظيمُ القوى الروحية في العالم لتوطيد السلم العام والعمل على ما فيه الصلاح القومي والدوليّ » .

ومما قاله صاحب الهلال عن هذه العصبة ما حرفه :

« وقد اطّلعنا على محضر المؤتمر الذي عُقد في انكلترا لانشاء عصبة الاديان فوجدنا بين الحاضرين اساقفة ممثلين لاديان ومذاهب مختلفة من اساقفة وحاخامين فضلاً عن كبار المفكرين ورجال الاصلاح الاجتماعي »

وقد اردف مُحبّذاً هذه الفكرة ونعم القول :

« هل من عامل في العالم افعل في نفس الانسان من العامل الديني ؟ كلا . بواسطة الدين وحده يتيسر بلوغ هذه الضالة المنشودة وبه دون غيره تُنفخ الروح والحياة في هيكل عصبة الامم . فما عصبة الامم الا جسم بلا روح وصورة بلا حياة والذا روحها وحياتها « عصبة الاديان » تبثّ مبادئ المحبة والتعاون والاخاء بين بني البشر لان الدين اشد العوامل الاجتماعية تأثيراً في الناس واقربها الى قلوبهم والتذهم . وبعبارة اخرى ان عصبة الاديان المراد انشاؤها هي الضامن الوحيد لثبات عصبة الامم »

فهذا امر لا يقع فيه شبهة اذ يثبته الدليل ويَشهد بصحته التاريخ . فلو قلبنا صفحات التاريخ قديمه وحديثه لنقف على من لهم اليد الطولى في اطفاء جذوات الحروب ونشر رايات السلام لاتضح لنا ان في مقدمة الذين راعهم امر الحروب فصرفوا عنايتهم في سبيل ابطالها او اقله في تخفيف اهوالها انما هم رجال الدين ولاسيما ارباب الدين الاكثر شيوعاً في العالم اعني بهم روساء الكنيسة الكاثوليكية

قلنا الكنيسة الكاثوليكية ولا نخاف في قولنا لومة لائم مهما تشدق بعض الكتبة ممّن لا يعرفون من التاريخ الا قشرته او يستندون الى اقاويل اعداء الكنيسة او يخلطون بين الكنيسة الكاثوليكية والشيع البروتستانتية او ينسبون الى الكنيسة ما فعله بعض الافراد كما فعل السيد المغربي في مقالة معنونة بروح الاسلام نشرها في مجلة البيان المصرية ولم يكتف ان يطرى روح الاسلام وهو حقه لسنا نتعرّض له فيه سواء أخطأ ام اصاب لكنه تحامل على النصرانية بكلام نعدّه اهانة لديننا منافضاً لكل شواهد التاريخ . فانا كتبه هناك بعد وصفه الدولة الرومانية ومساوئها (ص ١٧٠) قال :

« فلما دخلت النصرانية في العالم الروماني لم تُحدث ادنى تغيير او تبديل في آراء مشرعي الرومان من مسألة الواجبات الدولية بل بقيت الحرب على ما كانت عليه قبل من فظائع التخريب والعسف والتدمير والحيف والضيم والاذلال والإبادة والاستئصال وذلك لانّ المسيحية اهملت امرها وتقلصت يدها من مسألة المعاملات الدولية والواجبات الانسانية المتبادلة بين شعب وآخر وبذلك تركت اربابها واتباعها يسترون بحاهل الضلال في السود (كذا) دياجير الجهل والغواية »

هذا واسطرٌ عديدة مثلها يضيق المقام من ذكرها كلّها والحقيقة على طرفي نقيض . ولو اردنا تفنيدها لاقتضى مجلدات واسعات قد صنّفها والشكر لله غيرنا

من ارباب المعارف التاريخية والّا نجتزئ بذكر خلاصتها ذوداً عن حقوق الدين المستقيم

رأت الكنيسة الكاثوليكية انه ليس بامكان البشر ان يقطعوا دابر الحروب ويؤلفوا قلوب جميع الامم بالأمن والسلم لكنها سعت على طاقة امكانها باطفاء جمراتها وتقليل انتشارها وحصر اضرارها بقوانين منظمة . وقد استخدمت الوسائل في تحقيق غايتها وتوخّت ما استطاعت بواعث النجاح . وبياناً لذلك رأينا ان نستصبح بنور التاريخ ونثبت للقرّاء فضل الكنيسة الكاثوليكية في مناهضة شرور الحروب وتخفيف ويلاتها وبلوغ ذلك اولاً بتعريف روح الكنيسة ومبدأها الاساسي . ثانياً بذكر مؤسساتها . ثالثاً بوصف مجلسها التحكيمي

١ روح الكنيسة ومبدأها الاساسي

ليست الكنيسة كما هو معلوم الّا المشروع الاجتماعيّ العظيم والنظام الدينيّ الجليل الذي انشأهُ السيد المسيح لينشر في المسكونة بعد صعوده روحهُ وتعاليمهُ المقدسة التي ضمّنها في انجيله الطاهر . وقد بيّنا في مقالتنا السابقة « الانجيل والسلام العام » انّ روح المسيح هو روح السلام وانّ تعاليمهُ عائدةٌ الى تقرير السلام بين الافراد كما بين الشعوب

١ فانهُ تمجد اسمهُ اذ كان على الارض وضع اساس الهيئة الاجتماعيّة الجديدة حيث كرّر على تلاميذهِ انهم اخوة (متّى ٢٣ : ٨) وانّ لله كما لقيصر حقوقاً يجب وفاؤها (لوقا ٢٠ : ٢٥) وانّ صاحب السلطة بينهم ينبغي عليهِ ان يعتبر نفسهُ كالخادم للكلّ (لوقا ٩ : ٤٨)

ثمّ قرّر تلاميذهُ هذه التعاليم من بعدهِ واعلنوا بأنّ كلّ سلطة تأتي من الله (رومية ١٣ : ١) فيجب الخضوع لها ما لم تناهض حقوق الله فتُفضَّل طاعة الله على امر البشر (اعمال ٩ : ١٩-٢٠) وانّ الكلّ واحد دعوتهُ لا بُدَّ ان يحتقر عليها شراء كان حرّاً او عبداً (١ كور ٧ : ٢٠) وانهُ لم يعُد يبقى بينهم يهوديّ ولا يونانيّ لا عبد ولا حرّ ولا ذكر ولا انثى بل جميعهم واحد في المسيح (غلاطية ٣ : ٢٨) ومع هذا انّ للكلّ منهم الافراد كما الجموع واجبات وحقوقاً يتحتّم عليهم

مراعاتها (١ للوالدين كما للاولاد للرجل كما للمرأة للعبد كما للسيد لأنّ الظالم سينال ما ظلم به (كولوسي ٣ : ١٨ — ٢٢) وآيات اخرى كثيرة تبين باجلى بيان ان السيد المسيح ورسله وضعوا اساس الحقوق الفردية والدولية كلها وانهم كانوا اعظم انصار السلام مع جميع الناس حتى الاعداء . قال الاناء المصطفى بولس الرسول (رومية ١٢ : ١٨ — ٢١) : ان امكن فسالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون لا تنتقموا لانفسكم . . . فان جاع عدوك فأطعمه وان عطش فاسقه . . . لا تغلب للشر بل اغلب الشرّ بالخير . وقال في رسالته الى العبرانيين (١٢ : ١٤) : اتبعوا السلام مع الجميع

فهل يقدر سيد امير علي ان يأتي بآيات واضحة مثل هذه . فانّ ما ذكره في البيان (ص ١٧٨) كتأييد رأيه قد سبقت اليه اسفارنا المقدسة منذ من السنين قبله لا بل الحديث . صل من قطعك واحسن الى من اساء اليك . فقد بيّن الشرق (ص ٢٧٣ — ٢٧٤) انه منقول عن الانجيل بحرفه

٢ وان انتقلنا بعد هذا الى تاريخ الكنيسة واعتبرنا موقفها بإزاء الدول وجدنا انها سعت طاقة جهدها في بثّ روح السلام . واوّل ما صنعته مدة الثلثة القرون الاولى حيث قام عليها العالم الروماني وعبدة الاصنام في كل اقطار الدنيا انها ابتدأت باصلاح اساس الدول اعني العائلة فانها ردتها الى كرامتها الاولى فمكنت روابط الزواج ونفت الاكثار من النساء ومنعت الطلاق وخففت سلطة الرجل المطلقة على زوجته واولاده وعززت مقام المرأة كما يشهد لذلك اعداء الكنيسة فضلاً عن ابنائها

ولما خرجت من الدياميس ونالت الحرّية بانتصار قسطنطين اخذت منذ ذلك تناهض شرائع الامم الوثنية مباشرةً بشرائع الرومان . فانّ من يمعن النظر في المدن التي سنّها قسطنطين الكبير ثمّ تاودوسيوس الكبير ثمّ يوستنيان وغيرهم تحقق كم تحسّنت شرائع الوثنية في امور متعددة في النظام الاهلي والنظام العمومي والنظام الدولي وفي تحرير العبيد وابطال عادات همجية كالمصارعات الدموية في المسارح العمومية اذ كانوا يعرضون الوفاً مؤلفة من المصارعين او من العبيد او الاسرى

(١) راجع مقالات المشرق (٥٥ [١٩٠٨] ٧٨٨ و٨٦٢ و٩٢٣) : في الحرية والمساواة والاخاء ثم (١٢ [١٩٠٩] : ١٤٤ و٢٠٥) في التمدن والتساهل

ليتجالدوا بالسيوف فيقتل بعضهم بعضاً او يصارعوا الوحوش الضارية بل رُبَّما عرضوا جماهير المسيحيين لمخالبها دون ممانعة والحضور على مقاعدهم يمتّعون ابصارهم بدماء الصرعى . فلم تبطل هذه العادات البربريّة الّا بفضل احد ابناء الكنيسة القديس تلماك اذ نزل في مرسح القتال ليفصل بين المتصارعين فذهب ضحيّةً حبّ السلام وأُبطلت من بعده تلك المصارعات الوحشيّة

٣ ولمّا ذهب العالم الرومانيّ غارقاً بتيّار الامم المعروفة بالبرابرة التي اكتسحت ذلك الجبّار العاتي واستولت على ممالكه لم يتصدَّ لها غير ارباب الكنيسة فقاموا في وجه ملوكها وكفّوا عن الشعوب كثيراً من شرورها كالحبر الرومانيّ لاون الكبير في رومية وبندكتوس في ايطالية ولوبس ودامسيجيوس وجنوفيفا في فرنسة

ولم تكتفِ الكنيسة بوضع الحدود لأذاهم بل باشرت بتبشيرهم وتمدينهم فارسلت رُسُلها اليهم في كلّ اطراف اوربة وآسية وافريقية فباشروا بذلك المعترك العجيب حيث انتصر الضعيف من القوي والأعزل من الشاكّ بالسلاح والشهيد من مضطهده وقاتله فظهر نور الحقّ بين تلك الظلمات الكثيفة وفعلت وردةُ السلام ما لم يفعله حدُّ الحسام . ولم يمرّ على كنيسة المسيح اربعة او خمسة قرون حتّى اضحت تلك الامم البربريّة اممًا جديدة ساد في كثير منها روح العدل بل ظهر بين ملوكها رجال فضلٍ وبرٍّ تردّد الشعوب حتّى اليوم اسماءهم بكلّ وقار وكلّ شكر ونُظمت اسماء بعضهم في سلك القديسين

٤ وممّا يوقفنا جليّاً على روح الكنيسة وتوقها الى السلام ما رتّبته بشأن خدمة الدين حيث قضت ان كلّ من سفك دماً بجناية آمراً او منفذاً يُمنَع منعاً مطلقاً من قبول الدرجات الكهنوتيّة ليكون ارباب الدين ملائكة سلام ولا تحمل يدٌ سفكت الدماء إلهَ السلام

٥ واذا ما اعتبرنا صلوات الكنيسة في رُتبها اليوميّة وقلّبنا صفحات كتبها الطقسيّة وجدناها مفعمةً بالابتهالات الى الله لنيل الصلح والسلام وليس هناك كلمة واحدة تُشعر برغبتها في محاربة ايّ كان من البشر . واذا ما رفعت الى الله الادعية تطلب النصر لابنائها والشكر عن الانتصار النهائي فما ذلك الّا ابتهالاً بقوّة الله لدفع الاذى وشكراً له على نعمه وهو ربُّ الجنود يهب النصر من يشاء .

٦ وكم سعت الكنيسة في بثّ روح اللين والسلام في نفوس الملوك والوزراء والمشترعين فصرفت اذهانهم من سفك الدماء الى ترقية شعوبهم المادّية والادبية تشهد عليه المجلّدات الضخمة من اعمال البابوات وبراءاتهم الرسولية ورسائلهم الى الملوك . وان ورد شيءٌ من ذلك لمحاربة اعداء الدين فانّما هو دفعاً لشرورهم وحسماً لشرّهم وتمهيداً للحصول على السلام . ومثله قل عن جملة من الاساقفة والكهنة الذين اتّخذهم الملوك لمشورتهم واسندوا اليهم امورهم فانّهم منعوا حروباً كثيرة بتوسّطهم وحسن آرائهم

ويقرّ اليوم ارباب العلم وشيوخ السياسة انّ القوانين الدوليّة المعوّل عليها بين الامم المتمدّنة بخصوص الحرب وحقوق المتحاربين انّما هي خلاصة القوانين الكنسيّة التي سبق الاحبار الرومانيّون ورؤساء الدين الكاثوليكي فسنّوها في مجامعهم وتقاريرهم الرسميّة فنالوا بذلك شكر الامم جمعاء . فليذكر سيّد مير علي شيئاً من ذلك في كلّ تاريخ الدول الاسلاميّة فانّنا نؤكّد له انّه لن يجده بل يجد خلافه ونحن مستعدّون ان نثبته له بالشواهد المتعدّدة

والدليل على انّه ينقل ما نقل عن مصادر لا يوثق بها ذكرهُ لجروشياس (هكذا صحّف اسم غراسيانس الراهب الشهير) وقوله عنه انّه مؤسّس القانون الدوليّ في اوربّة (ص ١٧٧) وهو منطقة فقط . امّا نسبته الى السيّد المسيح قولاً منافياً لتعليمه وهو «ارغموهم (يريد الشعوب) على الدخول في الدين» فانّما هو افتراء محض

٢ مساعي الكنيسة لتخفيف وطأة الحرب

انّ روح السلم والوداعة الذي ورثتهُ الكنيسة من منشئها الالهي لم تكن به فقط توقفها امام تيّار الحروب وارشادها الامم الى الدعة والسكينة والوئام بل انشأت المشاريع المتعدّدة لتخفيف وطأة الحروب وحصر اضرارها في منطقة ضيّقة

١ (حق الحماية) واوّل ما وضعته الكنيسة بعد فوزها بالحرّية لحقن دماء العباد الحقّ المعروف بحقّ الالتجاء اي التجاء الخائفين على حياتهم الى الاماكن المقدّسة كالكنائس والاديرة والمستشفيات والمعاهد التي يخفق فوقها علم الصليب المقدّس فاذا دخل الخائف في حدودها اضحى آمناً من اعدائه . فكم نجا بذلك من ضعيف لهيف وكم أمن من

طريد شريد . وكم بطلت من طائلة غضب او انتقام ! وقد صادق الملوك على هذا الحق واعترفوا به مدة كل الاجيال المتوسطة ولعل ما شاع من ذلك بين العرب واهل البادية كما رواه حضرة الاب بولس سلمان قديماً حق الطنيب ليس هو غير صدى مما ورثوه من قبائل النصارى القدماء الذين كانوا سابقاً في جزيرة العرب

٢ (صلح الله) او سلام الله (Paix de Dieu) : هو ايضاً من مشاريع الكنيسة انشأته لتصون من بلايا الحرب امكنة واشخاصاً عديدين في زمن الحرب . فالامكنة كالكنائس والاديرة والمقابر وما يقع في جوارها ما لم تكن محصنة . اما الاشخاص فمن يتعاطون الفلاحة والصناعة والتجارة وما يتصل بنظرهم كالطاحن والواشي وما اشبه . وبموجب صلح الله كان يتحتم على المحاربين ان لا يوقعوا الاذى بالمسافرين والاولاد والنساء ومن يسير في رفقتهم . وقد اوّل مجمع بلنسية من اعمال اسبانية سنة ١١٢٩ اشد العقوبات بمن يتجاسر فيبيح دماء من سبق ذكرهم . وقد اوقع مجمع كلرمون المنعقد في فرنسة سنة ١١٣٠ الحرم الكنسي بمن يلقي في اثناء الحروب حريقاً في البيوت والحقول والبساتين والمدن والقرى . وتودي بهذه القوانين في بقية البلاد فصارت مرعية في اطراف النصرانية . وأقيمت فرق من جنود الدول لمعاقبة من يخالف تلك المراسيم

٣ (هدنة الله : Trève de Dieu) هي مشروع ثالث لكسر شوكة المحاربين تولت الكنيسة امره لمنع القتال في بعض الازمنة والمواسم الجليلة كأيام الصوم الكبير واعياد السيد المسيح ومريم العذراء وبعض القديسين بل حصرت المحاربة في كل اسبوع في ثلثة ايام فقط من الاثنين الى الاربعاء . وكان الاحبار الرومانيون يشددون على حفظ هذه القوانين واتفقوا مع الملوك على معاقبة من يتعداها بعد قطعهم من شركة المؤمنين بالحرم والتأديبات الكنسية ثم امتدت مساعيهم الى كل الدول النصرانية . وكان الاساقفة والكهنة يتلون على مسامع الشعب شروط الهدنة ثم يدعون غضب الله على من يتجاوزها فيرمون على الارض شموعهم المشعلة صارخين : اطفأ الله السرور من قلب كل من لا يذعن لشروط السلام (١)

(١) جاء في المقتطف (مجلد [illegible]) ما حرفه «وكان نفوذ الكنيسة في ذلك الزمان عظيماً جداً فبذلته في توقيف مرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنت شريعة سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمتها "هدنة الله" في الارض»

ومن عناية الكنيسة ايضاً في تلطيف ويلات الحرب أنها منعت في مجامعها اتخاذ الاسلحة التي تلحق الأذى بالبعيد كالسهام والاقواس وما شاكلها لئلا تصيب بريئاً مسالماً ولأنها معدودة كأسلحة الجبان الذي يخاف القتال عن كثب. ووردت في ذلك قوانين المجمع المسكوني اللاتراني الثاني سنة ١١٣٩ الذي حظر المحاربة بهذه الاسلحة الصماء التي قال عنها أنها خاصة المسلمين دون النصارى (١

وما قولنا الآن عن المشروعات المتعددة التي يقوم بها الاكليروس والرهبان لمساعدة جرحى الحرب في ساحات القتال خارجاً عنه دون الخلاف بين صديق او عدوّ وقد شكرت تركيّة في حرب القريم اعمال راهبات المحبة مع جنودها واقرّت بمآثرهنّ الشريفة. ولنا في الحرب الاخيرة من ذلك شواهد حيّة كالصليب الاحمر وغيره كلها تتعلق بفضل الكنيسة

٣ المجلس التحكيمي في الكنيسة

انّ قيام الكنيسة مقام الحكم الفاصل بين الملوك والامراء عند تباين اهوائهم وتفرّق كلمتهم قد اوقف انتشاب حروب جمّة بعد ان اوشكت ان تستعر نيرانها. وكثيراً ما استعدوا لذلك رؤساء الكنيسة عموماً واحبارها الاعظمين خصوصاً

ولا يخفى انّ سلطة البابا الروحيّة تتناول كلّ اقطار المعمور فكانت الملوك في الاجيال المتوسطة تنقاد لأحكامه حتى في الشؤون الماليّة وتركن الى مقامه الشعوب نظراً لما عُرف فيه من الاستقامة وصفاء السريرة واعتدال المشرب وكثرة الخبرة وسعة المدارك الى حزم اسمى من ان يأخذ بالوجوه وهو نائب المسيح وابو جميع المؤمنين يُعزّهم جميعاً منزلة الابناء.

فهذا ما جعل الملوك والامراء يرجعون اليه فاتخذوه الحكم الصادع والمرشد النصوح فيما اعتراهم من وجوه الخلاف فاستشاروا برأيه ووقفوا عند حكمه فأمنوا بواسطته انتشاب الحروب وحقنوا من سفك الدماء. والشواهد التاريخية على ذلك اكثر من ان تحصى

وقد ظهر الامر خصوصاً في الاجيال المتوسطة اذ رأى الاحبار الرومانيون تطاول

---

(١) اطلب (Revue Archéolog. 1916, p. 295—302)

بعض الملوك على رعاياهم وظلمهم لشعوبهم فتصدّوا لهم ودافعوا عن المظلومين لا يرهبون من سطوة اولئك الطغاة . كما شاع عن هنريكوس الرابع امبراطور المانية الذي كان اضرم في اوربة حرباً عواناً ألحقت بربوعها ضروب الآفات فوقف في وجهه شيخ رومية رادعاً ولم يزل يقاومه حتى اضطرَّهُ الى الخضوع بما انزل به من العقوبات الكنسية

ولمّا قامت تلك الشيع الهمجية شيع الأليجيين وقلبوا البلاد بغاراتهم ظهرا لبطن كان الاحبار الرومانيون في طريقهم كالسد المنيع الذي اوقف سيلهم الجارف

وما قولنا بأحكام الباباوات بازاء مطامع الملك فيليب اوغسطس في فرنسة وريشرد قلب الاسد وجان صنتير في انكلترا . فلولا ما تشبث به رؤساء الكنيسة في مجلسهم التحكيمي لأنقذت بلادهم سعيراً وعمتها البلايا

وكلٌ يعلم النزاع الذي استحكم بين دولتي اسبانية والبرتغال لدن اختلافهما على اقتسام الاراضي الشاسعة التي اكتشفنها في العالم الجديد رجال من كلتا الدولتين فعُرض وجه الخلاف الى مجلس البابا اسكندر السادس الذي نظر فيه بكل حكمة ورسم خطاً على خارطة اميركا كان الحدُّ الفاصل بين اراضي الدولتين فاذعن كلٌّ من الفريقين لهذا الحكم خانعاً ولولاهُ لاصطبغ العالمان الجديد والقديم بدماء المتحاربين

ولم تخلُ الازمنة المتأخرة من حوادث خطرة اضطرَّت الملوك في أثنائها الى ان يرجعوا الى الاحبار الرومانيين في حلّ ما تعقّد بينهم من المشاكل مما كان لولا توسطهم قد اثار حروباً طاحنة

منها الخلاف الشهير الذي استحكم بين المانية واسبانية بشأن أحقيّة الاستيلاء على جزائر الكارولين . فاجتمع رأي الدولتين على تحكيم البابا لاون الثالث عشر ليحلّ عقد الاشكال لما قام في بنيتها من حصافة رأيه ونزاهة نفسه . وقد حلّ البابا آمالها اذ اصاب بسهام رأيه كبد المشكل واصدر حكماً وقف المتخاصمون عنده راضين شاكرين

ومثلهم فعلت دولتا البيرو والشيلي لدن حكّموا البابا لاون ثم البابا بيوس العاشر في تعيين الحدود بين املاك الدولتين ثم في حسم خلاف شديد حدث بينهما

هذا قليل من كثير مما سطرهُ التاريخ من مساعي الكنيسة في سبيل السلام .

ولولا شطط بعض الملوك كفيليب الثاني ثم فتن الشيع البروتستانية في القرن السادس عشر وعدوانها على روما الذين لتوفرت على العالم المتمدن شرور لا تحصى

فقل لي ناشدتك الله أما كان العالم نجا من كل اهوال الحرب العمومية الاخيرة لو كانت النمسة والصرب رفعتا الى الكرسي الرسولي امر الخلاف الذي اثار تلك الحرب واذاق البشر الامرين ولا تزال عقابيلها تفتك بنا الفتك الذريع · فلا جرم ان ذلك التحكيم السلمي كان اعاد للعالم سلامة وانتزع الضغائن من القلوب وساعد على رقية الامم الى معارج الامن والفلاح

لعمر الحق قد اضمحل اليوم الوهم الذي كان سائداً على العالم من ان العلم والتهذيب والمدنية من شأنها ان تلطف العوائد وتهذب الطبائع والاخلاق الى ان تزيل اسباب الخلاف · فان وقائع السنين الاخيرة اظهرت ان كل رقي في العلوم الحديثة لم يكن الا آلة هائلة جعلت الحرب بربرية همجية وساعدتها على التفنن في التخريب والتدمير وعليه لا تخلص البشرية من الحروب الا الدين

وان اعترض علينا احد بقوله ان رؤساء الكنيسة نفسهم باشروا الحروب ودفعوا اليها الملوك وامدوهم بالقوات والذخائر لا سيما الحروب الصليبية · اجبنا اولاً ان الاحبار الرومانيين لم يدخلوا قط في حرب هجومية رغبة في توسيع املاكهم ومساعدة قومهم في ذلك · ثانياً معلوم انه كانت للباباوات املاك اوقفها على الكنيسة الملوك والامراء من تلقاء نفسهم فتركبت منها دولة كان يتحتم على الحبر الروماني المدافعة عنها بالقوة اذا اغتصبها ظالم وليس من احد يأخذ على ائمة الكنيسة عملهم هذا او يلومهم في حفظ تلك الوديعة وهم المؤتمنون عليها · ثالثاً ان الحروب الصليبية عينها انما كانت دفاعية واحتياطية اكثر منها هجومية · فان الدول الاسلامية باتساع نطاقها كانت تتهدد الممالك النصرانية حتى اصبحت على قاب قوسين من افتراسها · ثم ان الحروب الصليبية كانت غايتها نجاة الاماكن المقدسة من ايدي مغتصبيها ومنتهكي حرمتها فان الحاكم بامر الله وحده كان اخرب ثلاثين الفاً من كنائس النصرانية بعد ان دمر كنيسة القيامة في القدس الشريف أفما كان هذا سبباً كافياً لمحاربة الدولة الفاطمية المتولية على الاراضي المقدسة فمن يلوم الكنيسة لا سيما في الذود عن حياض دينها · وقل مثل ذلك عما صنعته فرنسة عن اوربة

تيار الدولة العركية التي يقبّح مظالها اليوم المسلمون فضلاً عن النصارى (١) . ورب وهيهات لن نسلّم بتبعة ما اتى به بعض ملوك النصارى ظلماً كمذبحة القديس برتلماوس وبعض اعمال ديوان التفتيش في اسبانية الى ارباب الكثلكة وهم براء منها . و تكتف الكنيسة بعدم اقرارهم على هذه الاعمال بل كانت اوّل من يوّبخهم عليها ويشدّد عليهم النكير في اتيانها حتى ولو كانوا من اعزّ اولادها ككشرلكان العظيم والكنت دي منفور فانّ الاحبار الرومانيين بكتوهما على افراطهما بمحاربة اعدائهما واعداء الدين

ويسوغ لنا ان نختم هذه المقالة بما كتبهُ جابرت احد مشاهير الكتبة المصريين مزكّياً الكنيسة عن هذه التهم بقوله :

بعد ان افرغت الكنيسة ما لديها من وسائل الاقناع لكفّ الايادي الظالمة دون ان يجديها القول نفعاً التفتت — وهي لم تفعل الّا مكرهةً — تطلب من القوّة ان تخدم الحقّ وتناضل بالسيف عن حوزته فتدفع عن اختصامه اقواماً لا يعرفون رأياً الا السيف ولا يحترمون الّا عهد القوّة . فهذا امرٌ لا عار منهُ عليها وهي بمعزل عن طلب الصفح والتنصّل . وحسبها ان كل من يستضيء بنور العقل يعتبر اعمالها في هذا السبيل خدمةً جُلّى للانسانية فيحفظ لها عليها الثناء الطيب والشكر الجزيل

حول جزيرة العرب

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

مكّة وشرفاؤها

بعد ابحاثنا السابقة عن اليمن لا بُدَّ ايضاً ان نخصّ بنظرة اجمالية امارة شرفاء مكّة كلّ يعرف مقام مكّة والمدينة في اعين الاسلام فالأولى مركز دينهم وقبلة

(١) للكاتب الفرنسوي الشهير شاتوبريان كلام مأثور في ذلك قال : « انّ الذين قد اقاقوا الملوك من سباتهم وجمعوا الشمل ووحّدوا الكلمة وابرموا المعاهدات دفاعاً عن البلاد الغربية لكي لا تقع فريسة الاتراك انما هم الباباوات ولو لم يكن للكنيسة من الاعمال الخطيرة في جانب الانسانية غير هذا لكفى . فهذه الخدمة الساطعة تجعلها اهلاً لأن تقام لها المدائح شكراً واكراماً »

صلاتهم ومحطّ حجيجهم والثانية منزل نبيهم بعد هجرته ومدفنه بعد موته . ويطلق على كليهما اسم الحرمين وهما حاضرتا الحجاز وفرضتها على البحر الاحمر جدة والينبع

لم يكن لمكة في اول الاسلام امارة خاصة وانما كان الحكم فيها لعمال يرسلهم اليها الخلفاء الامويون ثم العباسيون . بيد انه كان فيها بيوتات ينتمي اصحابها الى ذرية محمد عُرفوا بالشرفاء والسادة كان الناس يعظمونهم لكرم محتدهم

فلما كان القرن الحادي عشر للميلاد وقد تدعضعت امور الخلافة في بغداد وتملك الفاطميون في مصر قامت اسرةٌ من العلويين وادّعت السيادة على اهل مكة ولم يألُ اصحابها جهدهم في توطيد نفوذهم . فيها فالفوز حليف إقدامهم وبقوا في منصبهم الى اواخر الدولة الفاطمية فسقطوا بسقوطها

ثمّ صارت بعدهم الامارة الى اسرة شريفة يتصل نسلها بالشريف قتادة الذي تولى الامارة على مكة في اواخر القرن السادس للهجرة والثالث عشر للمسيح ويرتقون اصله الى الامام حسن بن علي بن ابي طالب . واخبارهم طويلة لا يسعنا ذكرها . واكثر ما يرويه كتبة المسلمين كالفاسي والفاكهي والنهروالي والسمهوردي منها نزاعات ومخاصمات وحروب يطول وصفها انتشبت بين اصحابها طمعاً في السيادة وحرصاً على جمع المال من الحجيج بضروب العنف

على ان امارة الشرفاء على الحرمين لم تكن غالباً الا اسمية يضطرون الى الخضوع للدولة الظافرة شاؤوا ام أبوا ويخطبون باسم صاحبها لاسيما ملوك مصر من القرن الثالث عشر الى السادس عشر فاذا اخنوا منهم بضعف استبدوا بالامر وبسطوا سلطتهم على انحاء الحجاز

ولم يكن للشرفاء جيش يحميهم وانما كانوا يتخذون خدمهم ومماليكهم وبعض اهل البادية لقضاء امورهم على ان عشائر العرب كثيراً ما كانت تتعرض للحجاج في طريقهم وربما يأخذ شيوخها نصيبهم من مالهم او يرضيهم الشرفاء بمبالغ يؤدونها لهم او ألطاف يهدونها اياهم

ولما دخلت الحجاز في عهدة ملوك آل عثمان بعد فتح سليم خان الاول أثبت السلطان في الامارة على مكة الشريف جمال الدين محمد ابا النمي من اسرة قتادة السابق ذكرها

سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٥م) وقرّر بأربعمائة دينار ذهباً في السنة . وخلفه في الامارة اولاده (١ ويُعرف بيت هؤلاء الشرفاء بذوي زيد توارثوها ابناً عن جدّ الى ايام الوهابيين فحاولوا نشر مذهبهم في ايام الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة ١١٦٥هـ (١٧٥١م) فزيّف تعاليمهم وامر بحبس بعض علمائهم . ثم تنامى امر التجديين كما سبق في عهد اميرهم ابن سعود وكرّروا الحملات على الحجاز حتى دخلوا مكة واستولوا على المدينة سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) وامروا في الحرمين سبع سنين وكان ذلك في ايام الشريف غالب بن مساعد بن سعيد

وفي السنة ١٨١٢ كانت الحملة المصرية فتوفّق محمد علي الى تحرير الحجاز فردّ امرهُ الى اصحابه لكنهُ رأى في الشريف غالب بعض الضعف والموالاة للوهابيين فعزلهُ واقام مكانهُ الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن اخي غالب ونُفي غالب الى سالونيك وهناك مات سنة ١٨١٦

وكان يحيى كاحد عمّال الدولة ليس له من الامارة غير الاسم . وفي السنة ١٨٣١ عزلهُ محمد علي باشا لقتله في الكعبة احد انسبائه وقلّد امارة مكة رجلاً من الاشراف اسمهُ محمد بن عون لم يكن من بيت امرائها فصارت من بعده الامارة تتراوح بين البيتين لبيت ذوي زيد حيناً ولبيت ذوي عون حيناً آخر

وطالت ايام ابن عون ثلاثة عشر تسعين سنة ومات في ٢٨ آذار ١٨٥٨ وقد تقلّبت عليه الاحوال فنُفي مرّتين المرّة الاولى بامر محمد علي باشا نُفي الى القاهرة (١٨٣٦–١٨٤٠) والمرّة الثانية بامر السلطان عبد العزيز الى الاستانة (١٨٥٣– ١٨٥٦) وحصل في تلك الاثناء في الحجاز مشاغبات واضطرابات كان سببها تارةً عبد المطلب بن غالب الذي يحقوق الامارة الموروثة من اجداده الى ان فاز بها مدةً نفي ابن عون وتوفي سنة ١٨٥٦ . وتارةً قبائل العرب تثور على الاتراك لامتناع العمّال من اداء رواتب شيوخهم وحقوق عشائرهم لآل عثمان

وكانت الدولة كالوف عادتها تسعى في تقسيم الكلمة واضعاف العناصر المخالفة

---

١) توفي الشريف ابو نُمي عن ثلاثة اولاد وهم الشريف حسن وهو جد الشريف حسين امير مكة الحالي وملك الحجاز ثم الشريف بركات وهو جد الاسرة المعروفة بالبركاتية . ثم الشريف احمد الذي من ذريته الاشراف العبادلة المنتسبون الى ابنه عبد الله بن احمد بن ابي نمي

أحكامها فكانت تعضد حيناً ابن عون وحيناً عبد المطلب على مقتضى الاحوال . كذا كان فعلها مع قبائل العرب في الحجاز .

وعيّنت الدولة بعد وفاة ابن عون ابنه عبدالله ليخلفه في امارة مكّة . وكان بدالله سكن زمناً طويلاً في الاستانة وصار احد اعضاء الشورى فيها . فاثار انتخابه حقد بيت ذوي زيد وحزبهم وحدثت من جرّاء ذلك فتن في الحجاز حتى قسم من بلاتها الاجانبَ في جدة فنهبت مخازن الانكليز والفرنسويين وقتل قنصلاهم منع الحجيج عن زيارة الحرمين . وفي السنة ١٨٦٦ قام العربان في الحجاز على الدولة عدوا في غيهم الى السنة ١٨٦٦ وبطل الحج وقطعت الطرقات ولم تهدأ الامور الا بعد ن دفعت الحكومة لشيوخ القبائل ٢٥٠,٠٠٠ فرنك كانت تأخرت من دفعها لهم

وبقي الشريف عبدالله بن محمد بن عون في منصبه حتى السنة ١٨٨٢ وفيها زل . قيل انه احسن السياسة في العرب ونفذت كلمته بينهم

ثم عهدت الدولة امارة مكّة بعد الشريف عبدالله الى عون الرفيق باشا من ذوي ن فتولى من السنة ١٨٨٢ الى ١٩٠٥ وكان ابيّ الطبع شديد الشكيمة لا يستطيع د مخالفته وقد قام في وجه ولاة الاتراك فقضى عليهم ان ينقادوا لاوامره . ولما لّى احمد راتب باشا سنة ١٨٩٢ اتفق كلاهما وجريا كفرسي رهان في ظلم الرعايا لستزاف اموالهم واقتسام الارباح بينهما الى ان توفي الشريف عون سنة ١٩٠٥ فخلفه الامارة اخوه عبدالله لكنه مات بغتة قبل ان يباشر بمهمات وظيفته فأسند منصب مارة الى الشريف علي حيدر ابن اخي عون فدام حكمه ثلاث سنوات فلما أعلن دستور سنة ١٩٠٨ انقلب من رتبته مع راتب باشا الحاكم التركي في مكّة . وحكم ستوريون على راتب باشا بدفع مبالغ مما اقتصبه من مال الاهلين . اما الشريف حيدر فانه رحل الى مصر وبقي هناك

وقد عيّنت جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٨هـ (١٩٠٠م) لامارة مكة الشريف سين بن علي وهو الذي يعرف اليوم بملك الحجاز . خدم قبل الحرب الدولة التركية ا ماصر الادريسي مع قبائل العرب في العسير حامية الاتراك في أبها جمع الامير سين سنة ١٣٢٩هـ خدمه ومماليكه وبعض المتطوعين من اهل البادية وسار بصحبة ود الدولة فأفرج عنهم كما سبق فعظمت بذلك منزلته في اعين مواطنيه

وفي ايام الحرب الاخيرة عدل الشريف حسين من تركية الى الدول الائتلافية سنة ١٩١٦ فزحف مع فرقة من العرب على مكة . وقاومه فيها الاتراك ودخلها في حزيران ثم استولى على جدة وفتح الطائف بمساعدة الجيوش المصرية في ٢٢ ايلول منها . اما المدينة فدافع عنها الجيوش العثمانية بشهامة ولم يسلمها الفريق فخر الدين الا بعد الهدنة في ١٠ ك ٢ سنة ١٩١٩

ولما دخل الشريف حسين الى مكة اقرت له الدول الاتحادية بسلطنة الحجاز . اما الاتراك فانهم دعوا عليا حيدراً وقلدوه امارة مكة ليناصب الشريف حسينا لكنه بقي في الشام بجوار جمال باشا والعثمانيين ينتظر انتصارهم لينال ما وعد به من الامارة فخابت آماله ولم يزل الشريف حسين قابضا على ازمة الامر معززاً مكرماً تعضده الدول الائتلافية ولاسيما بريطانية العظمى

ولما دحرت الجنود العثمانية وخرجت جزيرة العرب وبلاد الشام من حكم السلاطين بني عثمان نودي بالامير حسين ملكاً على الحجاز وعزّ مقام شريف مكة . وقد افاض السيد محمد رشيد رضا في صفاته وشمائله في مجلة المنار (السنة العشرون ٣٠٠ — ٣٥٨) . ومما لا ينكر انه حاول توطيد ملكه وتوسيع نطاق دولته . ولعلّ ما ناله من الرفعة والشرف حمل به الى ان يمدّ سلطانه الى ما وراء الحجاز فاوقفه اصحاب تلك الاصقاع عند حده لاسيما الامير ابن السعود(١) . ولجلالة الملك حسين اولاد ذوو مقام رفيع وسجايا ممدوحة يقيمون الآن في جوارنا وهم الامراء فيصل وعبدالله وعلي وزيد يسعون بتأليف مملكة عربية من سوريا وفلسطين والعراق والله اعلم بمصير الامور وهو يولي الملك من يشاء

ثم نبأ من ابن الرشيد — خبر البرق من لندن في تاريخ ٨ ايار الماضي ان الامير سعود بن الرشيد امير حايل (راجع ما قلنا عنه في الصفحة ٢٨٢) قتل في الشهر الثالث من نيسان لاسباب عائلية وان القاتلة هم من عبيده وقد نصب الامير عبدالله بن متعب اميراً مكانه وهو ابن جارية وعمره ١٨ سنة وكان ابن رشيد حليفاً الاتراك في اثناء الحرب العمومية الاخيرة

---

(١) جاء في الديلي تلغراف في تاريخ ١٩ آذار الاخير ان فرقة من الوهابيين هاجمت رعايا الحجاز على مسافة عشرين ميلاً جنوبي شرقي الطائف فقتلوا عدداً وافراً من اهلها من قرى الملك حسين واستأثروا اثناء الاعتداء الى ان ارسل الملك حسين جنداً فهزموهم بعد ان احرق العدو قريتين واخذوا المتاع الغالية

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثامن

في التاريخ النصراني بين عرب الجاهلية

ان ما قيل في آثار الخطابة بين نصارى العرب في عهد الجاهلية يصح في آثارهم التاريخية فانها قليلة جدًا كأن العرب ظلّوا في جزيرتهم معتزلين عن بقية الشعوب المسيحية لم يعرفوا منها شيئًا . وليس الامر كذلك كما سترى وانما سبب ندرة هذه الآثار ان اهل الجاهلية لم يدوّنوا معارفهم في بطون الدفاتر لقلة انتشار علم الخط بينهم فصحّ فيهم قول القائل : كلّ علم ليس في القرطاس ضاع .

ويُضاف الى هذا السبب سببٌ آخر وهو قلة اكتراث الرواة المسلمين لتدوينها حين باشروا بجمع آثار الجاهلية في القرن الثاني للهجرة . فكان حينئذٍ معظمُ همّتهم ان يرووا ما يسمعونه من عرب الحضر والمدر من الشعر الجاهلي والمفردات اللغوية والامثال والحِكَم وما شبه ذلك . اما ما عرفه اجدادهم من تاريخ النصرانية فلم يعيروهُ بالًا

على اننا لو تتبّعنا في الامر ودقّقنا النظر في تلك الروايات السالمة من طوفان الحروب الاسلامية لوجدنا ان عرب الجاهلية عرفوا اشياء كثيرة من تاريخ النصرانية واثبتوا بذلك شيوعها في ظهرانيهم

١ واوّل دليل الى قولنا معرفتهم بالاسفار المقدسة من العهد القديم ليست الاولية فقط الشائعة عند اليهود بل الثانوية ايضاً التي وردت في النسخة السبعينية

وكان النصارى يعتبرونها كمنزلة بالوحي الالهي مثل الاولية . فمن راجع ما نقلناه سابقاً في الفصلين الثاني والرابع من هذا الجزء وما ورد فيهما من اخبار العهد العتيق في شعر امية بن ابي الصلت وعدي بن زيد وزيد بن عمرو بن نوفل وغيرهم تحقق ان عرب الجاهلية اطّلعوا بفضل النصرانية على كل اخبار التاريخ المقدس قبل المسيح

٢ وفي ذينك الفصلين باب آخر يثبت معرفة اهل الجاهلية بتاريخ العهد الجديد ايضاً اعني اخبار السيد المسيح والعذراء والانجيل ومجيئه في آخر الازمان ليدين العالم . وورد مثل ذلك في القرآن والحديث كما روينا سابقاً . وكله يشهد على معرفة العرب بزبدة تاريخي العهد القديم والعهد الجديد معاً

٣ ومما يستفاد من فصولنا السابقة ولاسيما ما اوردناه من الشعر الجاهلي ان العرب قبل الاسلام عرفوا ايضاً حق المعرفة : ١ ° رسل المسيح وحوارييه وامه مريم البتول الطاهرة ويوحنا المعمدان السابق امام وجهه وبعض المبشرين بعيسى بلادهم من تلاميذه . ٢ ° كنيسة المسيح ونظامها من بطاركة واساقفة وكهنة وشمامسة . ٣ ° رهبان النصارى واديرتهم وصوامعهم وقلاليهم ومناسكهم في اعلى الجبال وسرجهم المتقدة ليلاً وعيشتهم الشظفة . ٤ ° بيع النصارى ومعابدهم وما تمتاز به من هياكل ومحاريب ومنابر ومنارات ومصابيح وصلبان وصور ودمى ونواقيس . ٥ ° أسرار النصارى وخصوصاً المعمودية والقربان الاقدس والذبيحة الالهية المقدسة تحت شكلي الخبز والخمر . ٦ ° اعياد النصارى كالدنح (الغطاس) والباعوث (الشعانين) وخميس العهد والفصح والسلاق (الصعود) . ٧ ° عادات النصارى في صومهم وصلواتهم وطوافهم حول الكنائس وحجهم الى القدس الشريف وملابسهم الخاصة . ٨ ° امتياز احبارهم وعلمائهم بعلم الكتابة وبنقل الصاحف الدينية من توراة وزبور وانجيل مع تنميقها ووشيها بالرسوم وضروب النقوش الملونة . فكل هذه المعلومات تقوم مقام سفر جليل ينبئنا بشيوع التاريخ المسيحي بين عرب الجاهلية

٤ وقد اورثنا نصارى العرب فوائد تاريخية جمة منها ما نقل عنهم بالتقليد في اقدم التواريخ الاسلامية كالطبري يؤخذ منها خبر دخول النصرانية بين عرب العراق والشام وانتشار الدين المسيحي في جهات اليمن قبل وبعد استيلاء الحبش عليها . ومنها كتابات حجرية رقمت على الصخور بالقلم المسند الحميري فاكتشفها

السيّاح في ايامنا واشرنا اليها في مقالاتنا السابقة وممّا ورد في مضامينها ذكر سدّ مأرب والسيل العرم . ومنها عاديات خلّفتها الامم السالفة كبعض القصور التي ينسبها العرب الى قدماء النصارى وبعض البيع مثل كنيسة صنعاء المعروفة قديماً بالقُلَّيس التي صبرت بعض آثارها على آفات الدهر او مثل كعبة نجران وغير ذلك ممّا يُتّخذ حجّة لتسبة المعارف التاريخيّة وغيرها اليوم

٥ وممّا وقف عليه العرب من اخبار الكنيسة ذكر بعض شهدائها كالقديس جرجس الشهيد الذي شاع بين العرب اسمه ومنهم مَن دعاهُ بالخضر . ويشهد على انتشار اكرامه في جهاتهم ان اقدم الكنائس النصرانيّة التي بُنيت على اسمه انما شُيدت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٧) وقد تكرّر اسمه في الكتابات اليونانيّة المكتشفة هناك . ومثله القديسان الشهيدان سرجيوس وباخوس المكرَّمان بين العرب في الرصافة والرقّة وجهات الفرات . وكان بنو تغلب اتّخذوا صورة الاوّل كراية تتقدّمهم في الحرب (راجع ديوان الاخطل ص ٣٠٩) قال :

لمّا رأونا والصليبَ طالعًا ومار سرجيس وسمًّا ناقعا
وابصروا راياتِنا لوامعا خلّوا لنا راذانَ والمزارعا

وقد ذكرنا سابقاً انّ اوّل اثر من الخطّ العربيّ قد كُتب سنة ٥١٢ للمسيح اي ١١٠ سنوات قبل الهجرة على مشهد القديس سرجيوس في زَبَد وصوّرنا هناك صورته (الجزء الاوّل ص ٢٠٣—٢٠٤) . والاثر الثاني من الخطّ العربي يرتقي الى السنة ٥٦٨ م وُجد في حرّان من اعمال حوران كُتب على مشهد أُقيم تذكاراً للقديس يوحنّا المعمدان المكرَّم هناك

وكذلك اصحاب الكهف وهم شهداء أَفَسس الذين رُوي عنهم أنّهم هربوا من وجه المتعصّب في عهد دقيوس قيصر فالتجأُوا الى كهف اي مغارة وظلّوا فيها الى السنين الطوال حتى افاقوا من سُباتهم باذن الله وصاروا آيةً للقيامة . وقد ورد ذكرهم في القرآن وفي شعر اميّة بن ابي الصلت كما ورد ذكر اصحاب الاخدود اي شهداء نجران الذين التهمهم ملك اليمن اليهودي ذو نواس في أتون النار (راجع سورة البروج في القرآن) — وذكروا تاريخ حبيب النجّار زعموا انهُ رافق تلاميذ المسيح الى انطاكية وساعدهم في نشر دينه بين اهلها

٦ اما التاريخ المدنيّ فقد عرف منهُ نصارى العرب نُتَفاً لاسيّما تاريخ الامم المجاورة للعرب من فرس وحبش ورومان . فمن ذلك ما انشدهُ اميَّة بن ابي الصَّلت في محاربة سيف بن ذي يزن للحبش بمساعدة الفرس وطردهم من جزيرة العرب (راجع في شعراء النصرانيَّة لاميَّة ص ٢٣١) التي اولها :

ليطلب الوِتْرَ امثالُ ابن ذي يَزَنٍ في البحر خيَّم للاعداء احوالا

وربَّما ذكروا ملوك الروم باسمهم العام « قيصر » كقول امرئ القيس عند رحلته الى حاضرة ملوك الروم يستنجدهم على قتلة ابيه :

بكى صاحبي لمَّا رأى الدربَ دونهُ وايقنَ انَّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك انَّما نحاولُ مُلكاً او نموتَ فنُعذرا

وخصُّوا بالذكر بعضهم كموْرِق اي موريقيوس قيصر . قال الكنديّ يذكر بعض من فتك بهم الدهر (حماسة البحتري ع ٣٨٣)

وامتحنَ أبرهةَ الذي سُجدتْ لهُ شُمُّ الجبولِ صواغرًا لم تَنطقِ
وامتحنَ كسرى وابن كسرى بعدهُ والمرءَ قيصرَ وامتحنَّ لموْرِقِ

وكذلك ذكروا منهم هِرَقل او هِرَقْل . قال لبيد (ديوانهُ ص ٣٥) :

غلبَ الليالي مُلْكَ آلِ عزَقرٍ وكما فعلنَ بتُبَّعٍ وبهِرَقلِ

امَّا ملوك العجم فقد ذكروا معظم اسماء ملوك سلالتهم الساسانيَّة مثل كسرى واردشير وهرمز

٧ ومن الروايات العديدة التي نقلها اوَّل كتبة الاسلام على علّاتها فاثبتوها باسانيدها الى بعض اهل الكتاب من نصارى ويهود ممَّا لا يخلو منهُ تأليف واحد من تآليفهم القديمة وربَّما اشار اليها القرآن او نقل منها الحديث يظهر انَّهُ شاعت في جزيرة العرب مصنَّفات شتَّى معظمها لبعض المبتدعين او لكتبة مجهولين لا صفة لهم رسميَّة في الكنيسة . وقد بقي منها اشياء في قصص الانبياء للثعلبيّ وغيره . وقبيل المدّ والسنين . ومن هذه التآليف ما ورد ذكرهُ في الشعر القديم ولا نعلم من امره شيئاً كقول بشر بن ابي خازم وقيل الطرمّاح في كتاب بني تميم (المفضّليات ص ٦٧٦) :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ احقُّ الخيلِ بالركضِ المُعارُ

وكانت بعض هذه التآليف مكتوبة بالسريانيَّة او الحبشيَّة فوقف على مضامينها

العرب ونقلوا اشياء منها خصوصاً من كتاب « مغارة الكنوز » المنسوب تزوراً الى القديس افرام . وكان في هذه الكتب الصحيح والسخيف فلم يفرز العرب العليل من السالم

هذا ما استطعنا استخلاصه من الآثار الباقية فهو مع قلّته شاهد صادق على ١٠ توغُّلنا الثابتة من شيوع التاريخ المسيحيّ عند قدماء العرب (له تابع)

تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان

للكاتبين البارعين عيسى اسكندر المعلوف والشيخ سليم الدحداح

اقترح بعض القرّاء على مجلّة المشرق هذا الموضوع الذي مع عظم شأنهِ لم يتعرّض لهُ حتى الآن احد من كتبة الادباء فرأينا ان ننتدب لهذا الامر كاتبين مدقّقين اعلم من سواهما بتاريخ لبنان نعني بهما عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلّة الآثار والشيخ سليم الدحداح صاحب المقالات التاريخيّة المنتجة فاجابا الى طلبنا بما عُرفا بهِ من اللطف . فاستخلصنا من كتابتهما وأبناء الترتيب الى الصحة واضفنا اليه ما وقفنا عليهِ من ذلك في مآثر الفريقين ل . ش

نظر اجماليّ في اصل الامراء الشهابيين واللمعيين

ليس من غرضنا ان ندوّن هنا تاريخ هؤلاء الامراء ونبحث عن اصلهم وفصلهم وكلّ يعرف ما احرزوا لهم من الشهرة وخلّفوا من الآثار في لبنان وانحاء الشام منذ قديم الزمان . فمن اراد تفاصيل اخبارهم عليهِ بالتواريخ المنشورة سابقاً كالغرر الحسان للامير حيدر الشهابي واخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس شدياق وليراجع ايضاً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٦٦ و ٨٣٠) ما كتبهُ الشيخ ابو خطار العينطوريني عن اصل الامراء والمشايخ في لبنان

انّا نقول بالاختصار انّ الامراء الشهابيين ينتسبون الى مالك بن الحرث بن هشام المخزوميّ الذي توطّن حوران في عهد عُمَر بن الخطّاب ونال فيها الامارة . وقد لُقّب مالك المذكور بشهاب باسم جدّهِ شهاب بن عبدالله . ثمّ انتقلت سلالتهُ بعد قرون الى وادي التيم فتملّكوهُ ولم يزل يتّسع نفوذهم حتى انضموا

بالمعنيين حكّام لبنان فصاهروهم ثمّ خلفوهم في الحكم بعد انقراض ذريّتهم بوفاة الامير احمد المعني سنة ١٦٩٧ وقد بقيت امارة لبنان في يد الشهابيين الى السنة ١٨٤٢ . وهذه سلسلة امرائهم : ١ً الامير بشير الشهابي الاوّل من امراء راشيا (١٦٩٧—١٧٠٧) استقرّ كاللمعيين في دير القمر—٢ً الامير حيدر شهاب من امراء حاصبيا (١٧٠٧—١٧٣٢)—٣ً الامير ملحم بكر الامير حيدر (١٧٣٢—١٧٥٤)—٤ً—٥ً ثمّ اخوا الامير ملحم : احمد وحده (١٧٥٤) ثمّ مع اخيه منصور (١٧٦٢—١٧٧٠)—٦ً ثمّ الامير يوسف ابن الامير ملحم (١٧٧٠—١٧٨٨)—٧ً ثمّ حفيد عم الامير يوسف بشير الثاني المالطي المعروف بالكبير (١٧٨٨—١٨٤٠)—٨ً آخرهم الامير بشير الثالث ابن اخي الامير يوسف (١٨٤٠—١٨٤٢)

امّا الامراء اللمعيّون فينتسبون الى بني فوارس وهي طائفة قدمت الى غربي لبنان من الديار الحلبيّة ومنهم كان ابو اللمع المتوفّى سنة ١٦٥٢ . كانوا اوّلاً معروفين بلقب مقدَّمين ثم نالوا رتبة الامارة من الامير حيدر الشهابي لحسن بلائهم يوم عين دارة حيث انتصر القيسيّون وفي مقدّمتهم بنو شهاب على اليمنيين سنة ١٧١١ ثمّ صاهروا الشهابيين وزادوا عدداً وتفرّعوا الى عدّة بيوتات تولّوا على جهات المتن

٢ النصرانيّة بعد الصليبيين

لمّا انتهت الحروب الصليبيّة وطُرِد الفرنج من سواحل الشام في اواخر الجيل الثالث عشر أُصيبت النصرانيّة في سوريّة بضربة أليمة وصار لبنان تحت حكم الامراء المسلمين الذين تولّوا تدبيرهُ باسم دولة المماليك المصريّة . امّا النصارى الوطنيّون فبقي منهم قسمٌ في المدن الداخليّة ولاسيّما دمشق وحلب وبعض المدن الساحليّة كصور وصيداء وبيروت وطرابلس وكان اكثرهم من الروم. امّا الموارنة فكان معظمهم في جهات لبنان وخصوصاً في انحائه الشماليّة وفي عكّار . وكان الروم واليعاقبة في القرى المجاورة لدمشق وحمص وحماة . ولم يبق من الفرنج الّا بعض التجّار أُقيم لهم بعد مدّة قناصل يُعنون بمصالحهم ويتوسّطون بينهم وبين ولاة الدولة . ونال الرهبان الفرنسيسيّون ان يبقوا في خدمة النصارى في الاراضي المقدّسة وفي بعض مدن الشام كدمشق وحلب وطرابلس وبيروت وصيداء . وهكذا قد تجدّدوا

لهم فيها اديرة بقيت آثارها الى اليوم . ثم تبعهم المرسلون الكرمليّتان واليسوعيّون والكبوشيّون منذ القرن السابع عشر فتقدّمت بهمّتهم الطوائف الشرقيّة وزادت عددًا وفضلاً

وقد نال النصارى بعد الصليبيين اهانات ومحن شتّى لا حاجة الى ذكرها هنا . لكنّ تلك المصائب خفّت نوعًا لمّا صارت الامارة الى أُسرة آل معن وكانت على مذهب اهل السنّة وقد اشتهر منها الامير فخر الدين الاوّل معاصر السلطان سليم فاتح الشام . وفاق عليه شهرةً حفيدهُ فخر الدين الثاني الذي قلّدهُ السلاطين امارة جبل لبنان وجبل الدروز ولعلّ ذلك الذي خدع بعض الكتبة فذهبوا الى كونه درزيًا والصواب انهُ كان مسلمًا وانّما كان محبًا للنصارى يتردّد اليهم ويمنحهم الامتيازات التي خصّت سابقًا بالمسلمين ويستخدم المسيحيين في اكثر اعماله . وكثيرًا ما كان يجالس المرسلين ويتباحث معهم في امور الدين ويستحسن كلامهم في الدفاع عن النصرانيّة لاسيّما بعد سفره الى ايطالية ودخوله على ارباب دوقيا وخصوصاً فرندوق توسكانا ونظره الى رقيّ اهلها ودينهم فرجع الى بلاد الشام وقلبهُ يتلهّب غيرةً على اصلاح وطنه ليشمهُ بشيءٍ من تمدّن الغرب . وفي غضون ذلك أُصيب الامير بمرض عضال في السنة ١٦٣٣ . وقد اخبر المرسل الكبوشيّ الاب ادريان دي لابروس أنّهُ عادهُ في مرضهِ وعالجهُ حتى شفي بنعمة من الله وعناية الاب فتنصّر واعتمد سرًّا وقد حضر عمادهُ كاخيتهُ الشيخ ابو نادر . ولمّا حاربتهُ الدولة وصار في حوزة الاتراك أُرسل اسيرًا الى الاستانة فقُتل مع ولديهِ بامر السلطان مراد . ويقال انّهُ كان يحمل الصليب على صدره وان احد اسباب قتلهِ شيوع خبر تنصّره وثباته في ايمانهِ والله اعلم (١

(١ انظر كتاب الاب ميلار دي برانتون (La France Catholique en Orient, p. 64—93) ومصداقًا على هذا الرأي ننشر هنا رسالة بعث الينا حضرة الاب قسطنطين الباشا المخلصي ارسلها المطران يوحنا بن قرياقوس الحصروني من بيت صندوق الذي انتدبهُ البطريرك يوحنا مخلوف الى قداسة البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٢٥ م لتهنئته وكان ترجمان الثلاث الشرقيّة عند ملك فرنسة مع القس جبرائيل الصهيوني الاهدني ثم بعد بضع سنوات عاد الى لبنان فسقّفه البطريرك وتوفي بعد قليل . وهذه الرسالة منقولة عن المجلد ٣٤٧٦ من سجلات مدينة فلورنسة في ايطالية وهي بحروفها :

تنصر الشهابيين

فلما قام بنو شهاب بعد المعنيين وهم مثلهم من اهل السنّة وتقلّدوا تدبير لبنان بدعوة امرائه واشرافه أثَّر فيهم تساهل بني معن مع النصارى فاتخذوهم الى اعمالهم وعهدوا اليهم بمهامهم وجعلوهم في حاشيتهم . فانهم بعد ان كانوا في منطقة اسلاميَّة اصبحوا في دائرة مسيحيَّة ودرزيَّة في جهات دير القمر واتَّفق غلب تأثير النصرانيَّة فيهم على عمل الدرزيَّة لأنَّ الدروز كما هو معلوم يغالون في كتم سرّ معتقداتهم ولا يقبلون مهتدين لدينهم عملا بمبدأ التناسخ فصارت اكثر معاملات هؤلاء الامراء الشهابيين مع نصارى لبنان من الموارنة خصوصاً فمهَّد ذلك الطريق الى تنصيرهم

ومن الدواعي اليه ايضاً انه كان للكهنة الوطنيين والمرسلين الاوربيين مجالسات ومحاورات ومناقشات مع امراء الجبل من بني شهاب وآل بلمع فكان الامراء يستطيبون احاديثهم ويحترمون بعض كتبهم الدينيَّة كالكتاب المقدس وسير القديسين ويشاهدون صدقهم وعملهم الخيريَّة فمالوا الى مساعدتهم في بناء الاديرة والمعابد ورأوا في الديانة المسيحيَّة زواجر ونواهي وعظات وآداباً اخذت بمجامع افكارهم . ذلك مع ما كان عليه غير المسيحيين من مناوأة الامراء الاقطاعيين وارهاقهم وتقلّب آرائهم وما اتخذه حكّام الدولة المجاورون من اساليب العسف وفنون العنف حتى سئموا العيش معهم وازدادوا تقرّباً من المسيحيين

وممّا اخبره احد شيوخ لبنان الطاعنين في السنّ وكان عاش مدّة في جوار بعض

« سلام الله الحي القدوس محيي الاجساد والنفوس ومعيدها الى قرائنها باحسن الطقوس يخص به حضرة سيدنا واميرنا ورئيس ... وسرور طائفتنا المارونية الجليل القدير الامير فخر الدين المكرم

والذي يعرضه على شريف علمكم عبدكم المعروف خادمكم المطران هنا المطروقي كاتب هذه الميمونة نعم ان قريب جاءكم بالكتاب كاتبكم مصطفى بن حسن شلبي ... اخبار عدة وان شاء الله تكونوا منصورين على اعدائكم والعاقبة لكم بمعونة ينبوع المعونة الالهية سيدنا ومولانا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذراء مريم الدائم بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها آية تشابهها باعمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحمه الجزيلة يجعلكم اهل ونحبكم ... اميراً مسيحياً ... طاعة البابا مؤيداً بالعز والنصر الالهي بالمذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة النازل من السماء بواسطة الكلمة الازلية سيدنا يسوع المسيح خلاص الراقين الخلاص بالايمان المذكور . . . . . »

القريبين من آل شهاب حكّام لبنان ان من اسباب تنصُّر الشهابيين تحريض نسائهم لهم على التديّن بالنصرانيّة لأنهنّ اجتمعن بارباب الدين المسيحيّ واستحسنّ تعاليمهم لاسيّما ما يخصّ الزواج القانونيّ بامرأة واحدة دون السماح بالإضرار والطلاق فأثّر ذلك فيهنّ اشدّ التأثير ودفعنَ ازواجهنّ الى التنصُّر ففعلوا

واوّل امير يُذكَر تنصُّرهُ دون تعريف اسرته الامير عبدالله فهو على ما روى احد سيّاح الفرنج المعاصرين السيّد بول لوقاس(١) وقد اتّسع باخباره وذكر حادثةً في غربته والملاطفة الى الآباء الكبوشيين واحسانه اليهم ببناء ديرهم والى عموم الموارنة ثم ما دهمهُ من المصائب من قبل حكّام الدولة وخصوصاً والي دمشق الذي طالبهُ بالمال الكثير ثمّ حبسهُ . وكان كثير الميل الى النصرانيّة فسعى الآباء الكبوشيّون بمساعدته في حبسه والعناية بامره في ضيقاته فطلب العموديّة فعمّده احد خدامه الموارنة في سجنه بارشاد الآباء المذكورين فعدّ تنصُّرهُ اكبر نعم حياته . ثمّ نُفي الى البصرة وفيها توفّي نحو سنة ١٧١٧ . ثمّ روى السافر رجوع اولاده الى منصبهم وموالاتهم للمرسلين الكبوشيين دون ان يصرّح بنصرانيّتهم

اما اوّل من تنصَّر من الشهابيين فكانوا من ابناء ثاني امراء لبنان وهو الامير حيدر المتوفَّى سنة ١٧٣٢ فخلّف تسعة ذكور من اربع زوجات: كان اكبرهم الامير ملحم الذي خلفهُ في الحكم ثمّ احمد وهما من زوجته الاولى الشهابيّة من حاصبيا . ثمّ الامير عُمَر من زوجته الثانية امّ الامير مراد ابي اللمع . ثمّ الامير بشير من زوجته الثالثة ابنة الامير حسين قيدبيه ابي اللمع . ثمّ خمسة اولاد من زوجته الرابعة شقيقة زوجته الاولى الشهابيّة وهم الامراء منصور ومعن ويونس وحسين وعليّ

وقد تنصَّر بينهم الامير عليّ وزوجته سنة ١٧٥٤ وتمّ ذلك بواسطة الكاهن المارونيّ البيروتيّ الخوري ميخائيل فاضل وهو الذي نُصِّب بعد زمان على بيروت ثمّ أُقيم بطريركاً على الموارنة سنة ١٧٩٣ . وكان سبب تنصُّرهما ما ورد في آثار قديمة انّ احدى بنات الامير عليّ مرضت مرضاً ثقيلاً حتى يئس اهلها من شفائها وانقطعت عنها حيلة الاطبّاء . فشفاها الله بواسطة ادعية الكاهن المذكور وكان يتردّد على

(١) اطلب كتاب سفره :
Voyage du Sieur Paul Lucas, *Rouen*, 1719, pp. 319—327)

عائلة الامير فطلب مع زوجته سرّ العماد من يده فقبلها في الطائفة المارونيّة . وسلالة هذا الامير تسكن الى اليوم في وادي شحرور ومنهم الامير سليم منصور شهاب الذي قضى زمناً طويلاً في خدمة البنك العثماني في بيروت ثمّ توفي وهو نائب في مجلس ادارة لبنان عن قضاء المتن في مدّة الحرب الكونيّة الاخيرة . وقد عمّر الامير عليّ طويلاً فاربى على الخمس والثمانين من عمره وتوفيّ في وادي شحرور سنة ١٨٤٤

وكان في تلك الاثناء الامير ملحم يصادف في حكم لبنان من المشاقّ والصعوبات التي يعارضه بها ولاة الدولة وبالخصوص والي صيداء اسعد باشا العظم الذي وُلِّي بعد مدّة امرة دمشق حتى اضطرب بسببه حبل الامن فتبرَّم من معاملاته الجائرة وجاهر بنفوره منه واستفحل الخلاف بينهما فنال الامير من سوء تصرُّف عمّال الدولة نكبات ومصادرات يطول ذكرها . وقد رأى على خلاف ذلك من المسيحيين موالاةً له في شيعته واخلاصاً في خدمته كما رأى من الطوائف الاخرى اعراضاً عنه . وكان الكهنة من مرسلين ووطنيين وارباب الدين على اختلاف طبقاتهم يظهرون للامراء التودُّد ويناوضونهم بكثير من الشؤون التي تعود اليهم بالراحة وتنشر رواق الامن في اقطاعاتهم وبذلك حبّبوا اليهم النصرانيّة . فجعل الامير ملحم يرغّب الى اولاده وانسبائه ان يتقرّبوا من النصارى ويتخلّقوا باخلاقهم . واثَّر فيهم مثل الامير علي فاهتدى بعده الى الدين المسيحيّ المقدَّس ثلاثة من اولاد الامير ملحم وهم الامراء سيد احمد وقاسم وحيدر انضمّوا الى الطائفة المارونيّة ايضاً

وفي اواخر سنة ١٧٦٤ تبعهم الامير قاسم ابنُ عمّهم عمر وهذا كان لسترضاء عمَّيْه احمد ومنصور اللذَين تزاحما في الحكم على لبنان وسلّماه حكومة غزير وازوجه الامير منصور احدى بناته . وكان اهتداؤه على يد السيّد يوسف اسطفان الغوسطاوي مطران بيروت وهو الذي صار بطريركاً بعد ذلك استدعاه الامير وابدى له رغبته في التنصّر وطلب منه ان يرشده في معرفة الدين المسيحيّ فلبّى المطران دعوته وحضر الى غزير ولم يزل مجتهداً في ارشاده حتى وجده مستعداً لقبول العماد فنصّره هو وعائلته

وبعد بضعة اشهر ولد للامير قاسم ابنه البكر الامير حسن . ثمّ وُلد له في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٦٧ ابنه الاصغر الامير بشير المشهور بالكبير والمعروف بالمالطي

اعظم حكّام لبنان الشهابيين فنشأ الولدان مسيحيّين وعاشا وماتا في حجر الكثلكة من الطائفة المارونيّة . ولا عبرة لبعض اوهام نشرها المفسدون بخصوص دين الامير بشير فلا طائل تحتها . وللامير بشير في المشاريع الدينيّة والادبية ايادٍ بيضاء . من جملتها انهُ وهب الآباء اليسوعيين قطعة ارض في منطقة زحلة لبناء ديرهم وعاضد غيرهم . وكذلك تنصّرت والدتهما وبعد وفاة زوجها الاول اقترنت بالامير سيد احمد المتنصر كما سبق

ثم تبعهم بقية الامراء الواحد بعد الآخر حتى انهُ لم تأتِ عليهم السنة ١٨٣٠ حتى شملتهم نعمة النصرانيّة جميعًا وانتسبوا الى الامّة المارونيّة واتخذوا طقسها الّا واحدًا منهم تبع الطقس الملكيّ الكاثوليكيّ . ولما دخل المصريّون بلاد الشام سنة ١٨٣٢ وجدوا الامراء مجاهرين بدينهم النصراني

ولا شكّ انّ هؤلاء الامراء عدلوا الى النصرانيّة مستنيرين بنور الهداية الالهية . على اننا لا ننكر ايضًا انّ البعض منهم دفعتهم اليها مصلحتهم وشؤونهم الخاصة اذ وجدوا انّ معظم اهل لبنان نصارى موارنة وليس في الجبل من يزاحمهم على الامارة مع قلة المسلمين فيه الّا المتاولة الذين كانوا يجاهرونهم بالعداء . فوجدوا انهم لا ينالون راحة في جنوبي لبنان وشماله الّا بمناهضة اهل الشيعة ومعاضدة النصارى فابعدوا الاولين واستكثروا المسيحيين في اطراف الجبل وبتنصّرهم اكتسبوا ثقة الاهلين فصار لهم بذلك حزبٌ ينتمي اليهم وتعلّق بهم شديد التعلّق

وممّا يثبت قولنا انّ بعض الامراء المتنصّرين كانوا اذا خالفوا الامير بشير يرتدّون الى الاسلام ليستلطفوا ارباب الدولة كما جرى للامير حسن الاسلامبوليّ وللامير سلمان احد ابناء الامير سيد احمد(١) وغيرهما في اواخر القرن الماضي الذين عادوا الى الدين الاسلاميّ طمعًا بوظائف الدولة . امّا الشهابيّون في وادي التيم فهم مسلمون الى يومنا . وكذلك لم يتنصّر كما زعم البعض الامير يوسف الشهابيّ سادس

(١) سنة ١٨٤٠ م ارسل عبدالله باشا والي عكا خلعة الولاية في لبنان للامير حسن علي وللامير سلمان سيد احمد الشهابيين لتغلّبهم على الامير بشير الكبير . وارسل الشيخ محمودًا الدسوقي اليها ليرجعهما الى الاسلام

حكام لبنان وانما كان محبًا للنصارى (١) وسعى بتحصيل القنصليّة الفرنساويّة في بيروت للشيخ غندور سعد الخوري مدبّره وابن مربيه فنالها في سنة ١٧٨٦ بواسطة البطريرك يوسف اسطفان الذي اوفد لذلك الى لويس السادس عشر الخوري انطون القيالة البيروتيّ . وفي خزانة البطريركيّة المارونيّة جواب الاميرال دي كستريس الفرنسي الى الامير يوسف شاكرًا له عنايته

تنصر الامراء اللمعيين

سبق لنا ان الامراء اللمعيين عضدوا الشهابيين والقيسيين يوم عين داره وابلوا فيه احسن بلاء حتى نالوا لقب الامارة واقطعوا المتن وزحلة وبعض البقاع وتصرفوا في البلاد تصرّف الامراء . وكانوا مثل بقيّة الطوائف التي قدمت من الجبل الاعلى في حلب من الطائفة الدرزيّة . ويُعرف اللمعيُّون بثلثة بطون : اولها آل قيدبيه حكموا في الشبانيّة وراس المتن وصليما بكفيا وبيمكا . وثانيها آل مراد حكموا في قالوط وقرنايل والشبن والعباديّة . وثالثها آل فارس في بسكنتا ولكل امير منهم قصر او سراي لا يزال اكثر هذه القصور باقيةً آثارها على طرزها القديم

وكان سبب تنصُّرهم احتكاكهم بالنصارى في لبنان مثل انسبائهم الامراء الشهابيين واستخدامهم في امورهم ووقوفهم على خلوص سريرتهم . وكذلك تردّد ارباب الدين المسيحي اليهم من الرهبان الاوربيين او الاكليروس الوطني ومحاضراتهم في شؤون الدين . ولاسيّما مثل الشهابيين المتنصرين فرغبوا في النصرانيّة وعدلوا عن دينهم

والمشهور على ألسنة الامراء اللمعيين والقريبين منهم ان اول امير لمعيّ تنصّر كان الامير اسمعيل من آل قايدبيه من امراء صليما المعروف بالشوالح الكبير جسمه . وقد توفيّ هذا الامير سنة ١٧٨٨ بعد ان نصّر اولادَه وابناء آله . واشتهر اولاده الامير حيدر الشهير قائمقام النصارى في جبل لبنان الذي ساعد الآباء اليسوعيين في بناء

(١) سنة ١٧٩٠ م آنس الجزار من الامير يوسف ميلًا كثيرًا الى النصارى حتى نفذت كلمتهم لديه وخاصة الشيخ غندور ابن سعد الخوري صاحب من رشميا فاصدر امره وهو في طريق الحاج من المزيريب الى نائبه في عكاء ان يراقبا بشنق الامير يوسف ومدبره الشيخ غندور فشنقا ثم ندم لانه كان متقلب الآراء سريع السيف القتل

ديرهم في بكفيا وقبر في كنيستهم (راجع المشرق ٤ [١٩٠١] : ٨٢٩)

امَّا طريقة اهتداء الامير اسمعيل وسنة اعتدائه فلم نعثر عليها مع كثرة البحث عن ذلك . وانَّا نعرف انهُ قدَّم صورة ايمانه لقداسة الحبر الاعظم بيوس السادس فاتحفهُ بثلاث صور قديمة من عمل اشهر المصورين تُرى حتى اليوم في معبد ديرهم ببكفيا وارسل اليهِ براءة يحثّهُ فيها على حماية النصارى . والحقيقة انَّ الامراء اللمعيين عموماً وآل قيدبيه خصوصاً ولاسيما الامير اسمعيل هذا واولادهُ الامراء حسن ومنصور (؟) وحيدر وحنظلة كانوا اكثر خُلطاء المسيحيين فمكَّنوا النصارى في القرى من قرع الاجراس انذاراً باوقات الصلوات وكان ذلك قبلهم ممنوعاً بتَّةً وقد ذكر وفاة هذا الامير كثير من مؤرخي عصره مثل القس كرامة الحمدي والقس حنانيا منير الزوقي في تاريخيهما المخطوطَين واثنيا عليه وعلى اعقابه من الامراء .

وفي تاريخ الرهبانية الانطونيَّة للقس عمنوئيل البعبداتي (ص ١٨٤) فوائد عن تنصُّر بعض امراء اللمعيين في قرنايل وما يجاورها فاخبر ان الاب سمعان عريض وزملاءهُ لمَّا عزموا على بناء دير لرهبانهم في قرنايل استقدمهم اليهِ وخاطب الاب سمعان بقولهِ انهُ يرغب في بناء كنيسة على اسم قديس اشتهر بالشجاعة والذود عن حرمة دين الله اكثر من سواهُ فاشار اليهِ الاب بالقديس ايليا الحيّ واطلعهُ على سيرته المخطوطة في كتاب قديم فأعجب بها واصدر امرهُ ببناء الكنيسة ومال الى التنصُّر والتقرب من المسيحيين ومساعدتهم واوعز الى آله ان يعتنقوا المسيحيَّة فكان ذلك نحو السنة ١٧٩٠ . واول من تنصَّر من هؤلاء الامراء في قرنايل الامير بشير ابن الامير حسن ابن الامير يوسف ابي حيدر قبل العماد من يد القس عمنوئيل من العبادية وزوجته وزوجته (؟) وعيالهُ . وكذلك امراء رأس المتن تنصَّر منهم الامير فارس ابن الامير علي هو واولادهُ على يد الاب عمنوئيل سلامة الشيخ اللبناني الشهير . وكان هؤلاء الامراء يساعدون في تأسيس الديارات والمعابد والمدارس وينفقون على بعضها ويقفون لها العقارات والاراضي فنال النصرانيَّة بهم شرف وفخر بازاء مواطنيهم . لكنَّ الامر لم يكن ليروق لاصحاب الدولة خوفاً من تقوية العنصر المسيحي بتنصُّرهم فلم يألوا جهدهم في القاء الفتن بين العناصر بارسالهم ولاةً الى الشام

وصيدا، وطرابلس اشروهم بعض امراء لبنان فجرى ما جرى بسببهم من ضروب العسف والظلم والمشاغب والمذابح

هذه لمعة من تاريخ تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين تقدّمها لقرّاء المشرق مع اقرارنا بما فيها من الخلل ببعض الايضاحات والمعلومات راجين من فضلاء الادباء الواقفين على اخبار لبنان ان يفيدونا بما يرونه اوسع واثبت ولهم الشكر سلفاً

مطبوعات شرقية جديدة

I fasti della Chiesa Patriarcale Antiochena da **Ignazio Efrem II Rahmani** Patriarca Antiocheno dei Siri, *Roma*, 1920, *in-4, pp. 36-XXXII*

مآثر الكنيسة البطريركية الانطاكية

قد افتتح غبطة السيّد الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني المحاضرات التي عُقدت في رومية منذ اوائل السنة الحاضرة بمساعي المكتب البابوي الشرقي. وقد اختار لذلك موضوعاً عرفهُ حق المعرفة اعني مآثر الكنيسة البطريركية الانطاكية التي يُعدّ غبطتهُ احدى حلقات سلسلتها الذهبية فتتبّع خلاصة أعمالها ومشاهير اخبارها مباشرةً ببداءة الرسل منشئها الاوّل ثمَّ وصف آثارها وكبار رجالها وعلاقات اصحابها مع الكرسي الرسولي في مدى الاعصار وما نال ابناءها من المحن في الحرب الاخيرة وقد اضاف غبطتهُ الى ذلك مدة افادات عن رُتب وطقوس الكنيسة الانطاكية وعن ما كان بينها وبين الكنيسة الرومانية من العلاقات ثمَّ عن نسخة الاناجيل المقدَّسة السريانية المعروفة اليوم بالبسيطة وما تقدَّمها من نسخة سابقة قد فُقدت واكتشف غبطتهُ بعض مقاطيعها. فكانت هذه المحاضرة موضوع ثناء كلّ من حضرها من كرادلة واساقفة وعلماء فاتّفقوا على وجوب طبعها وبذلك نلنا نحن حصَّتنا ايضاً من فوائدها الجمَّة ونصوصها الشائقة اجزل الله ثواب غبطته ومتّعنا زمناً طويلاً بوفرة علومه

ل. ش

Ambroise Got : L'ALLEMAGNE APRÈS LA DÉBÂCLE, *Strasbourg, in-8, pp. XI-262*, 1919,

ألمانيا بعد سقوطها

ان الضربة التي أُصيبت بها ألمانية بعد كسرتها اوقعتها في حيص بيص فقامت فيها الاحزاب المتباينة والعناصر المختلفة ومنازعات الطبقات القومية والمطامع الاشعبية التي يصعب الوقوف على ظواهرها ومكنوناتها. فاراد احد بني الالزاس الذين عرفوا عُجرها وبُجرها ودرسوا حركات اهلها بعد سقوطها وهو الدكتور بالفلسفة امبرواز غوت من معيَّة البعثة الفرنسويَّة الى برلين بعد الحرب ان يطلع الفرنسويين على ماجريات تلك الدولة بعد خلع الامبراطور غليوم الى اواسط السنة ١٩١٩ فاتى بكتاب غاية في الحسن والضبط فتتبَّع كلَّ فصول هذه الرواية الفجعة واستقرى امور ممثليها من وطنيين واجانب ويهود واشتراكيين وذوي عناصر شتَّى وكلُّها أعقد من ذنب الضبّ فاماط الستر عن اسرارها ووفى كلاً حقَّهُ. ونتيجة ابحاثه هذه انَّ ألمانية لا تستطيع ان تنهض من كبوتها مهما ساعدتها الاحوال الَّا بعد السنين الطوال لاسيَّما مع ما يلزمها اداؤهُ من الضرائب والديون للاتحاديين والتعويضات عن كلّ ما دمَّرتهُ من البلاد. وذلك كلُّهُ ثمرة صلف قيصرها المخلوع وتجاوزه كلَّ حدود القناعة والانصاف

الاب ج. لومنك

Angell (Norman) : LE CHAOS EUROPÉEN, traduit de l'anglais par **André Pierre**, *Paris, B. Grasset*, 1920, *in—12, pp. XI—144*

الفوضى الاوروبية

كان صاحب هذا الكتاب نورمان انجل الانكليزي وضع قبل الحرب تأليفًا سعى فيه بان يوضح لمواطنيه ان الحرب لا يُرجى منها اصلاح الامور كما توهَّم البعض وانَّ شرورها اعظم من خيرها. واليوم قد وضع هذا الكتاب الثاني ليبيّن فيه ان بنود الصلح التي صادق عليها مندوبو الدول في فرسايل تنذر بأخطار جديدة وتعرّض اوربَّة لفوضى مرعبة لحكميهم على الدول المركزيَّة بالضغط والتذليل والاستعباد مع كونها هي بوقتها وسعة اعمالها ووفرة وسائلها كفء لانقاذ عموم الدول من ازمتها الاقتصاديَّة فانَّ الدول الغالبة كالبقرة الحلوب ان نُزعت اخلافها نضب

حاليًا فلا بُدَّ اذن من منحها الحرِّيَّة اللازمة لتصلح شأنها وتخدم باصلاحها بقيَّة الدول . ومن ثمَّ لا بُدَّ من تحوير معاهدة فرسايل . هذا رأي صاحب الكتاب ولا يبعد عن الصواب ارشد الله اولي الامر الى ما فيه خير العباد وتأييد حقوق العدل والانصاف

الاب ج . لوقاك

Gautherot (Gustave): LA FRANCE EN SYRIE ET EN CILICIE. *Courbevoie*, 1920, *in*-12, *pp.* 240

فرنسة في سورية وقيليقية

مرَّت علينا سنة ونصف منذ رأينا على سواحلنا الراية المثلَّثة الالوان . وقد جرت منذ ذلك الحين عدَّة امور في سوريَّة وقيليقية نشرتها الجرائد متفرقة فكاد يحتار العقل في معرفة اسبابها وسوابقها ولواحقها فكنَّا نشتهي ان يطلعنا على سلسلتها كاتب ضليع وشاهد عيان فيما نحن به وهو الدكتور في الآداب غوستاف غوترو الذي رافق الحملة الفرنسويَّة الى الشام ثمَّ انتقل معها الى قيليقية وكان في ذهابه وايابه يدوّن كلَّ ما يحدث يوماً بيوم . فلمَّا اخذ افق السياسة ببعض الانقشاع جمع معلوماته في كتاب غاية في التحقيق والتدقيق فذكر تاريخ هذه المدَّة الاخيرة ووصف الحوادث والاشخاص والمناصر وصفاً منزَّهاً عن كلِّ غرض لا يهمُّهُ سوى بيان الحقائق التاريخيَّة وكشف معمَّيات الاحوال الحاضرة . فنثني على همَّة الكاتب الذي عرفناهُ واتَّلفنا على مقدرته ونوصي القرَّاء بمطالعة كتابه الجامع بين اللذَّة والافادة مع ما زيَّنهُ به من التصاوير البديعة والخرائط

ل . ش

APPEL AUX CATHOLIQUES DE L'UNIVERS POUR SAUVER LES MISSIONS ALLEMANDES, par **J. Neuhaesler**, *Munster*, 1920, *in*-8, *pp.* 24

استغاثة الكاثوليك في نجدة الرسالات الالمانيَّة

ان انتصار الدول الائتلافيَّة على المانية وحلفائها قد أدَّى ببعض المتطرِّفين الى نفي المرسلين الالمانيين الكاثوليك من رسالاتهم الاجنبيَّة لئلَّا يتخذوا كما يزعمون الدعوة الدينيَّة كوسيلة الى نشر روح تمدُّنهم وحبِّ وطنهم . وهو على ما نظنُّ خوف باطل لا اساس له لأنَّ المرسلين الكاثوليك اعلى مقاماً واشدّ تجرُّداً من أن يجعلوا الدين سلَّماً لمآربهم الشخصيَّة ومن ثمَّ تضمّ نحن ايضاً صوتنا الضعيف الى اصوات المحتجّين على هذه المعاملة الجائرة التي تحرم مدَّة بلاد من نعمة التبشير والتمدُّن المسيحي

ولا سيما بعد أن خسرت كثيرًا من مرسليها بسبب آفات الحرب . فأملنا اذن ان يسعى الاتحاديون دعاة قداسة الحبر الاعظم ويسهلوا للمرسلين قضاء مهمّتهم الشريفة من اي جنس كانوا . ولا بأس من محاكمة الذين يتعدّون طورهم ويتوسّلون بالدين لغايات زمنية وهذا بعيد من افكار المرسلين الكاثوليك   ل . ش

Un texte d'Eutychius relatif à l'Eléona, Extrait de la Revue Biblique, Juillet, 1914, par le R. P. RENÉ [illegible] des Missionnaires d'Afrique, p. [illegible].

عبارة لافتيشيوس المعروف بابن البطريق بخصوص كنيسة الزيتة

ورد في تاريخ ابن بطريق الذي تولّينا نشرهُ في مجموعة الكتبة المسيحيين (ص ٢١٦) ان كسرى أرسل جيوشهُ لفتح مدينة القدس فخرّب قائدهم اولاً كنيسة الجسمانيّة ثمّ « كنيسة الينة » فزعم العلامة كلرمون غانو الاثريّ الشهير ان هذه الكنيسة هي كنيسة السيّدة المعروفة بالجديدة (Nea, Νέα) فكتب ابن بطريق بحرف عربيّ لفظها اليوناني . لكن حضرة الاب بورتين من مرسلي الآباء البيض تصدّى له وأثبت بهذه المقالة ان المقصود ليست تلك الكنيسة بل هي كنيسة القديسة هيلانة المعروفة باليونانية (Eléona) فسماها ابن بطريق « الينه » . وهي التي اكتشف الآباء البيض آثارها في هذه السنين الاخيرة وكتب عنها الابوان كاتي من الآباء البيض وفنسان الدومنيكي الفصول المشبعة وهي التي اقامتها القديسة هيلانة فوق مغارة كان السيّد المسيح يجتمع فيها مع تلامذته في جبل الزيتون يعلّمهم وفيها اجتمع الرسل بعد صعود الربّ فقرّروا دستور الايمان والامل معقود على قرب تجديدها وقد بوشر حديثًا بتشييد كنيسة ملكيّة في مكانها على اسم قلب يسوع وُضع حجرها الاول في اوائل كانون الثاني من السنة الحاضرة   ل . ش

رسالة رعائيّة للسيّد الجليل اغناطيوس مبارك مطران بيروت

في سرّ الزواج المقدّس

طُبعت في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٣٠

قد أُهينت كرامة سرّ الزواج المقدّس في مدّة الكوارث التي دهمتنا في السنين الاخيرة بشيء من الامتهان اذ نفى بعض المؤمنين شرائعهُ القانونيّة فأحبّ سيادة

مطران بيروت على الموارنة ان يتلافى هذا الخلل فوجّه هذه الرسالة النفيسة الى الكهنة خدمة الرعايا في ابرشيّته وصف فيها عظم شأن الزواج المسيحيّ وقداستهُ وذكر ما وضعتهُ الكنيسة من القوانين لحفظ كرامتهِ ودفعاً لما يتهدَّدهُ من الاخطار بسبب الاهواء البشريّة واختصر التقارير الواجب على الكهنة مراعاتها في عقد الزواج. فجاءت هذه الرسالة مفيدةً للنيف الاكليرس من كلّ الطوائف فيحسن بهم ان يطالعوا على مضامينها الدقيقة ل. ش

نظرة اجماليّة في اعمال الجمعيّة الانطونيّة

طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في القدس الشريف سنة ١٩٣٠ ص ١٠

الجمعيّة الانطونيّة أُنشئت في القدس الشريف سنة ١٩١٣ بهمَّة الآباء الفرنسيسكان تحت شفاعة القديس انطونيوس البادوي غايتها تعزيز الآداب ومساعدة البؤساء فأتت من الاعمال المبرورة ما احرز لها عدَّة انعامات من الكرسي الرسولي وممثليه في القدس الشريف وفي هذه اللائحة ما يدلُّ على مآثر اصحابها في سبيل الخير. فنهنِّئ الجمعيَّة المذكورة ونرجو لها الثبات على خطّتها وزيادةً في النجاح

ديوان السموأل

رواية ابي عبدالله نفطويه

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي (طبعة ثانية مصحّحة ومزيد عليها)

طبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٣٠ (ص ٩٢ + ٤)

انَّ رواج هذا الديوان المنشور لاوَّل مرَّة في المشرق سنة ١٩٠٩ ثم على حدتهِ احوجنا الى اعادة طبعهِ . فاستفدنا من انتقاد العلماء على الطبعة الاولى واضفنا اليهِ عدَّة معلومات عثرنا عليها في مخطوطات ومطبوعات جديدة . ولا حاجة الى زيادةٍ في تعريف ناظمهِ اذ اصبح اسمهُ اشهر من نار على علم

تاريخ الآداب العربيّة منذ نشأتها الى ايامنا

تأليف احد اخوة المدارس المسيحيّة (الفرير)

طُبع بمطبعة الفرير في الاسكندريّة سنة ١٩٢٤ (ص ٦٩٣)

قد تعدَّدت منذ عشرين سنة تواريخ الآداب العربيّة فظهر منها في المانية

(بروكلمان) وفي فرنسة (هوارت) وفي ايطالية (بيزي) ثم في مصر (جرجي زيدان — محمد عاطف ورفقاؤه — المرصفي — احمد الاسكندري — الاخ بلاج) ولكل هذه الكتب مزايا ونقائص . ولعل أحسن ما نُشر الى اليوم الكتاب الذي قدّمنا هنا عنوانهُ ظهر سنة الحرب فلم نطّلع عليهِ حتى تلطّف واهدانا احد اخوة المدارس المسيحيَّة في الثغر نسخةً منهُ فوجدناه احرى من غيرهِ ان يوضع في ايدي تلامذة المدارس لكثرة فوائده وحسن تبويبهِ وانسجام عبارتهِ وتذييلهِ ببعض الحواشي التاريخيَّة واللغويَّة واطلاع المؤلف على المصادر القديمة والحديثة التي ساعدتهُ على انشائهِ وقد عدَّ بينها تآليف مطبعتنا الكاثوليكية ومجلتنا المشرق . ومن خواصهِ اعتدالهُ في الحكم من الكتبة الاقدمين والمحدثين دون مراعاة الوجوه في انتقادهِ وقد احسن اذ قَصَر الكلام على الموتى دون الاحياء . . . على أنَّنا لا ننكر انَّ هذا الكتاب يحتاج الى تحسين وزيادة تدقيق في بعض التواريخ والتآليف من بعض العبارات الشائنة الزائدة واختصار بعض تراجم المحدثين لعدم انطباقها مع سواها . وغاية ما نتمنى ان يصبح هذا الكتاب كدستور امين وركن مكين لمعرفة الآداب العربية وتاريخها في المدارس العمومية ولا سيَّما المدارس الكاثوليكية ل . ش

تنصيب قلب يسوع الاقدس ملكاً

معرّبة من الافرنسية للخوري يوسف الدكاش (ص ٣٢)

طُبع هذا الكراس اجابة الى رغبة الحبر الاعظم بتكريس العائلات الكاثوليكيَّة للقلب الاقدس وفيهِ الشروح الوافية من اصل هذا التنصيب ومعناهُ وشروطهِ . فنحثُّ الجميع على مطالعتهِ مع ابداء الشكر لغيرة ناشرهِ

شذرات

القديسة جان درك في لندن ونيويورك كلٌّ يعلم انَّ الانكليز كانوا سبب الحكم على جان درك لانتاذها وطنها من يدهم بعد ان كادوا يلحقونهُ

بعريطانية العظمى . فلما فكر بيوس العاشر في اعلان تطويبها تتمّ قدلسنة العلم أبى كثر الانكليز هذا العمل فكان جوابهم آية من الانصاف والعدل فأقرّوا ببراءة تلك الفتاة الشهمة ولم يعارضوا الكنيسة في آرائها . وفي هذه السنة اذ اثبت البابا بندكتوس الخامس عشر قداسة جاندرك في أمّ المدائن كان لهذا النبإ انعكاس صدى في عاصمة الانكليز فأتيت في ١٦ ايار الماضي في كتدرائية وستمنستر حفلات غاية في الفخامة حضرها علية القوم وممثلو العالم الكاثوليكي هناك وكان تمثال القديسة يأخذ بالابصار لبابه تزينه الاكاليل وتخفق فوقه الرايات الفرنسوية والانكليزية . وفي نهاية الحفلة جرى في الشوارع المجاورة مهرجان عظيم لاكرام القديسة — ولم يشإ الاميركيون ان يتخلفوا في مثل هذه الظروف فانّ سيادة رئيس اساقفة نيويرك اقام حفلة دينية ذات رونق عظيم بمعاونة رهط كبير من ارباب الكنيسة ورؤسائها وكهنتها اشتركت فيه معظم الجمعيات الاميركية وتلامذة المدارس الذين اربى عددهم على عشرة الاف . وأُطلقت في اثناء الحفلة المدافع تحيةً للقديسة . ثمّ تولت جوقة من ابرع الممثلين تمثيل ادوار حياة القديسة منذ حداثتها الى وفاتها ثمّ تمجيدها بعد موتها على صورة اخذت بمجامع القلوب مع مراعاة عادات الزمان وملابس العصر . وممّا احسنوا تمثيله ظهور القديس ميخائيل للفتاة بين موكب من الملائكة ودفعه لها رايةً وحساماً وكذلك حضورها لبعض المعارك وفوزها بالانكليز ثمّ دخولها الى ريمس ظافرة وقيامها عن يمين ملكها ساعة تتويجه ملكاً على فرنسة فأبقت هذه الحفلات في القلوب ذكرًا مخلدًا

❊ الطاولات الدائرة في الصين ❊ — ان للارواح الشريرة في الصين اعمالاً عديدة كثيرًا ما يحدثنا لنا المرسلون الكاثوليك في كتاباتهم تشهد على ه الابالسة في الممالك الوثنية من النفوذ . فمّا كتبه احدهم مؤخرًا الاب دُوره اليسوعي شيوع تدوير الطاولات في جهاتٍ كان احتلالهم على يد نسخَتها . وطريقتهم في ذلك انهم يتخذون قدرًا كبيرة يملأونها ماء ويغمسون في الماء طلسماً فيه ادعية للمائدة التنين . ثمّ يعكسون طاولة فيركبونها على القدر وقوائمها منتصبة ثمّ يتلو عليها كاهن الصنم الفاظاً سحرية يزجر بها الشياطين وهو يرقص حولها بينما يمسك قوائمها اربعة من الحضور فلا تلبث الطاولة ان تدور بهم وتعلو تارةً وتنخفض اخرى حتى

يعيا لامسها من اتباع حركاتها . وهم يعرضون عليها الاسئلة فتجيب عليها بضربات اصطلاحية او يربطون على احدى قوائمها قلماً فيكتب بدلاً فتجيب قوائمها الجواب على الورق وتكون حينئذ مقومة غير معكوسة . فترى ان تدوير الطاولات ليس هو فعلاً طبيعياً كما يزعم البعض وان الكنيسة بتحريمه احسنت اي احسان

مكافأة الحبر الاعظم لمحسن صيني — اشتهر في هذه السنين الاخيرة كاثوليكي صيني اسمه " يوسف لو " من وجوه شنغهاي بمبراته العديدة حتى دُعي " بقديس " او " منصور " دي بول الصيني " فهو اذا قام باكراً يسرع الى استماع القداس وتناول القربان ثم يطوف بيوت الفقراء والمرضى ويزور المحبوسين ويتكرم على الجميع بماله ونصائحه وقد انشأ هو وحده مأوى جمع فيه ٢٠٠٠ من البؤساء يقوم بكل حاجاتهم وحاجات الراهبات اللواتي عهد اليهن بنظارته . وقد اجتذب بذلك كثيرين من مواطنيه للدين الكاثوليكي فلما بلغ خبره الى الحبر الاعظم منحه في كانون الثاني ١٩٢٠ وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كافاليار وهذه اول مرة ينال احد الصينيين مثل هذا الامتياز — وكذلك منح اربع سيدات صينيات الشهير ايضاً بتفانيهن في خدمة الدين الوسام المعروف باسم " لاجل الكنيسة والبابا "

تكاليف الحرب على الدول — نشر احد كبار الاحصائيين السير اوكتاف فرانسون قائمة ما تكلفته كل دولة في الحرب الاخيرة مع نسبته الى غناها قال تكلفت بريطانية العظمى ثلاثة مليارات و ٥٠٠ مليون جنيه اي ٢٧،١٢ بالمئة نسبة الى غناها وتكلفت فرنسة عليها خمسة مليارات و ١٥٠ مليون جنيه اي الربع من غناها وتكلفت المانية ثمانية مليارات و ٧٠٠ مليون اي ٣٦ بالمئة من غناها وتكلفت ايطالية ٩٠٠ مليون اي خمس غناها وتكلفت بلجكة ٤٠٠ مليون اي نحو ٨ في المئة من غناها . فهذه نحو ٢٠ مليارًا من الجنيهات فقدت في سبيل الخراب والدمار بدلاً من ترقي العالم وخدمة الشعوب والاعمال الخيرية

متحف التاريخ الطبيعي في لندن — قد ذكر مدير هذا المتحف السر هرمر (S' Harmer) في مجلة الطبيعة الانكليزية ما بلغ اليه هذا المتحف في هذه السنين الاخيرة فان مجموع ما يحتويه في الحاضر من امثلة الحيوانات كبيرها وصغيرها ودقيقها من جميع الاشكال البرية والبحرية والهوائية يبلغ ستة ملايين عدًا

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب يوسف افندي صفير : ١ً من هو البطريرك نوح اللبناني وماذا يعرف له من التآليف ٢ً مَنْ هو يوحنا مرمتون الماروني الموفد الى ملك فرنسة لويس الرابع عشر

البطريرك نوح اللبناني

كان نوح من باقوفا ويُنسب الى لبنان أُقيم اولاً اسقفاً على حمص في السنة ١٨٠٠ لليونان (١٥٨٩ مسيحية) ثمَّ مفريانا ثمَّ عُهدت اليه البطريركية سنة ١٨٠٥ (١٥٨٤ م) فدُعي اغناطيوس الثاني عشر وكان من النحلة اليعقوبية . له في المكتبة الواتيكانية تاريخ عربي من آدم الى زمانه . وله ايضاً ميامر . توفي في ٢٨ آذار ١٦٠٩

٢ً اما يوحنا مرمتون فالظاهر انهُ كان من وجهاء قبرس ارسلهُ الى فرنسة سنة ١٦٦٦ مطران قبرس بطرس خومط نائب البطريرك اسطفان الدويهي وشيوخ بيت الخازن ليطلب من الملك لويس الرابع عشر ومن وليّ عهده ان يسعيا لدى السلطان بتلطيف معاملة ولاة الاتراك مع الموارنة ثمَّ باقامة الشيخ حصن الخازن قنصلاً للدولة الفرنسوية في بيروت وتعيين الشيخ ناصيف حاكماً على جهات كسروان وشمالي لبنان . فاستقبلهُ الملك لويس بكل لطف وأنالهُ اكثر مطلوباته وقد نشر الرحالة لاروك (ج ٢ ص ٣٠٨—٣١٥) ما نالهُ مرمتون من الامتيازات في فرنسة اذ انتظموهُ في سلك فرسان سيدة الكرمل وفي جمعية القديس لعازر الشرقية . فعاد الى الشرق بجواب الملك على الرسائل الموجهة اليهِ من الموارنة . واجتاز في طريقهِ بالاستانة حيث اكرم مثواه المركيز دي شاتونوف سفير فرنسة لدى سلطان الاتراك والتمس للموارنة عدة نعم من الدولة العثمانية . فلما عاد مرمتون الى بلاد الشام اقام في عكا متاجراً الا انَّ عمَّال الدولة ساؤوا اليهِ فطلب من ملك فرنسة ان يقبلهُ في فرقة من جنوده مع ٣٠ و ٤٠ مارونياً لكنَّ الملك لم يجب الى ملتمسه . ولم يُذكر عنهُ شيء آخر في التاريخ بعد ذلك

ل . ش